ولای صدیقه کبری

موسسه فرهنگی و پژوهشی

وهابیت
در ترازوی نقد
ترجمه: الوهابیه دعاوی وردود
مؤلف: حاج شیخ نجم الدین طبسی
مترجم: صفر سفیدرو

بسم الله الرحمن الرحيم

الوهابیه دعاوی و ردود

کاتب:

نجم الدین طبسی

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الوهابیه دعاوی و ردود: دراسه فی افکارهم و مناقشه لارائهم ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
المقدمة ----- ۱۵
المدخل ----- ۱۹
الفصل الأوّل: الشفاعة ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
معنی الشفاعة: ----- ۲۵
مورد الشفاعة: ----- ۲۶
دور الشفیع: ----- ۲۶
الشفعاء: ----- ۲۷
تقریر آخر للجواب: ----- ۳۲
شفاعة الملائکة: ----- ۳۳
شفاعة الحجر الأسود: ----- ۳۴
شفاعة الأموات: ----- ۳۵
حیاة النبی صلی الله علیه و آله بعد الموت: ----- ۳۵
رأی العلماء فی الحیاة بعد الموت: ----- ۳۸
استفهام: ----- ۴۱
رأی السُبکی فی بقاء الروح: ----- ۴۵
من الروایات فی الشفاعة: ----- ۴۷
طلب الشفاعة فی سیرة الصحابة: ----- ۴۸
الفصل الثانی: التبرّک بالقبور ----- ۵۰

اشارة ----- ۵۰
رأی فقهاء السنّة فی التبرّک والتمسّح: ----- ۵۵
روایة فی تقبیل القبر ----- ۵۸
التبرّک بالآثار ----- ۵۹
فتوی الفقهاء فی ذلک: ----- ۶۱
التبرّک بتراب القبر وتراب المدینة: ----- ۶۱
أحادیث فی الاستشفاء بتراب المدینة: ----- ۶۳
التبرّک بالنقود والذهب الذی مسّهُ النبی صلی الله علیه و آله ----- ۶۴
التبرّک بآثار النبی صلی الله علیه و آله ----- ۶۶
تبرّک الفاکهانی بنعلٍ منسوب إلی النبی صلی الله علیه و آله ----- ۶۷
التبرک بحجرٍ من بیت فاطمة علیها السلام: ----- ۷۰
التبرک بحجرٍ من المروة: ----- ۷۱
قبور وجنائز یتبرّک بها ----- ۷۱
تبرّک الناس بتراب قبر البخاری: ----- ۷۳
الفصل الثالث: الاستغاثة وطلب الحوائج ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
کلام السمهودی الشافعی: ----- ۸۱
الاستغاثة بالمیّت: ----- ۸۳
المعنی الاصطلاحی: ----- ۸۴
الاستغاثة بالأنبیاء إستغاثة بالأحیاء ----- ۸۵
استغاثة الضریر بقبر النبی صلی الله علیه و آله بأمر من عثمان بن حنیف ----- ۸۷
الاستغاثة بالقبور: ----- ۸۹
۴- ابن حبان یستشفع بقبر الرضا علیه السلام ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱

التعريف بابن حبان: ۹۲
۵- ابن خزيمة يتضرّع عند قبر الإمام الرضا عليه السلام ۹۲
اشارة ۹۲
التعريف بابن خزيمة: ۹۳
نماذج من الاستغاثة بالقبور ۹۴
من قصص الاستغاثة ۹۹
اشارة ۹۹
۱- قصّة والد ابن المنكدر: ۱۰۱
۲- النبى صلى الله عليه و آله يأمر بالطعام إلى الطبرانى: ۱۰۲
۳- النصف الآخر من الرغيف فى اليد: ۱۰۲
۴- الدراهم المباركة: ۱۰۳
۵- شربة رويّة من قدح لبن! ۱۰۳
۶- ثلاثة أمداد من التمر الطيّب! ۱۰۴
۷- الثريد أمنية جائع على رسول اللّه صلى الله عليه و آله! ۱۰۴
۸- امنية اخرى لجائع آخر! ۱۰۵
السمهودى يروى قصّة عن نفسه: ۱۰۶
الفصل الرابع: زيارة القبور ۱۰۹
اشارة ۱۰۹
۱- زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله ۱۱۱
اشارة ۱۱۱
مناقشة المدعى: ۱۱۱
وأمّا السّنة: ۱۱۳
المناقشة فى حديث شدّ الرحال: ۱۱۸
موقف العلماء من مزاعم ابن تيمية ۱۲۲

زيارة القبور والمشاهد ---- ۱۲۴
الأحاديث فی زيارة القبور: ---- ۱۲۵
فعل الصحابة والتابعين ---- ۱۲۷
القبور المقصودة بالزيارة ---- ۱۲۹
رأی فقهاء السنّة: ---- ۱۳۶
زيارة النبی صلی الله عليه و آله قبر امّه ---- ۱۳۷
بحث فی ايمان والدی النبی صلی الله عليه و آله ---- ۱۳۷
الشیء يذكر بالشیء: ---- ۱۴۱
الفصل الخامس: زيارة النساء للقبور ---- ۱۴۳
اشارة ---- ۱۴۳
مناقشة الحديث المروی: ---- ۱۴۶
كلام القسطلانی ذيل رواية أنس: ---- ۱۴۹
بحث فی السند: ---- ۱۵۱
الفصل السادس: الصلاة والدعاء عند القبور ---- ۱۵۵
اشارة ---- ۱۵۵
تصريحات مخالفة لرأی الوهابية: ---- ۱۶۴
استقبال القبلة أم القبر الشريف حين الدعاء ---- ۱۶۵
معنی حديث النهی عن اتخاذ القبور مساجد: ---- ۱۶۸
فتوی الفقهاء، حول الصلاة فی المقبرة: ---- ۱۷۲
الفصل السابع: بناء القبور وعقد القباب ---- ۱۷۵
اشارة ---- ۱۷۵
مناقشة الفكرة ---- ۱۷۸
ثالثاً: سيرة الصحابة وعموم المسلمين: ---- ۱۸۴
تجديد بناء القبر علی عهد الصحابة والتابعين: ---- ۱۸۶

تتميم: ردّ الاستدلال بحديث أبی الزبير ---- ۱۹۱
الفصل الثامن: الاسراج علی القبور ---- ۲۰۱
اشارة ---- ۲۰۱
مناقشة الحديث ---- ۲۰۵
الفصل التاسع: النذر ---- ۲۰۷
اشارة ---- ۲۰۷
مناقشة الفكرة ---- ۲۱۰
الروايات والنذر ---- ۲۱۰
هل المشابهة توجب التكفير؟ ---- ۲۱۲
سيرة المسلمين فی النذور ---- ۲۱۳
آراء العلماء فی النذر: ---- ۲۱۷
الفصل العاشر: الحلف بغير اللّه ---- ۲۲۱
اشارة ---- ۲۲۱
مناقشة الفكرة ---- ۲۲۴
محاولات ابن عبد البر ---- ۲۲۵
تقرير النبی صلی الله عليه و آله ---- ۲۲۶
تقرير الصحابة وفعلهم: ---- ۲۲۷
مسروق يحلف بقبر النبی صلی الله عليه و آله: ---- ۲۲۸
مناقشة حديث عبداللّه بن عمر: ---- ۲۲۹
الفصل الحادی عشر: الاحتفالات ---- ۲۳۱
اشارة ---- ۲۳۱
مناقشة الفكرة: ---- ۲۳۴
مناقشة الحديث «لا تجعلوا قبری عيداً» ---- ۲۳۷
تفسير الحديث ومفاده: ---- ۲۳۹

الخاتمة: كتب فی ردّ الوهّابية ---------- ۲۴۱

لائحة: بأسماء كتب فی رد الوهابيّة: ---------- ۲۴۱

تعريف مركز ---------- ۲۴۵

الوهابیه دعاوی و ردود: دراسه فی افکارهم و مناقشه لارائهم

اشارة

سرشناسه : طبسی، نجم‌الدین، ۱۳۳۴ -

عنوان قراردادی : الوهابیه دعاوی و ردود: دراسه فی افکارهم و مناقشه لارائهم . عربی.

عنوان و نام پدیدآور : وهابیت در ترازوی نقد/مولف نجم‌الدین الطبسی ؛ مترجم صفر سفیدرو.

مشخصات نشر : تهران: نشرمشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۲۳۲ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۰۹-۴

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

موضوع : وهابیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

شناسه افزوده : سفیدرو، صفر، ۱۳۴۴ - ، مترجم

رده بندی کنگره : BP۲۰۷/۶/ط۲و۹۰۴۱ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۶

شماره کتابشناسی ملی : ۲۳۳۶۸۶۷

ص: ۱

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

المقدمة

ص: ۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ابتلى العالم الإسلامى- خصوصاً بلاد الشام عام ۶۹۸ ه. ق بهجمات عنيفة وشرسة من أحد المحسوبين على الإسلام. كان قد نَشَرَ الأفكار الباطلة والمنحرفة. فتصدّى له علماء المذاهب، والفقهاء إلى أن طُرد وحبس وضيّق عليه حتّى مات فى الحبس- هذا بعدما نصحه القريب والبعيد، وحذّره الصديق والعدوّ، فلم يرتدع ولم يرجع من غيّه وضلالته.

ومن معاصريه الذين نصحوه شمس الدين الذهبى صاحب ميزان الاعتدال حيث خاطبه قائلًا:

«.. يارجل! باللّه عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام، إيّاكم والغلوطات فى الدين كره نبيُّكَ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال.. وكثرة الكلام بغير زلل تقسى القلب إذا كان فى الحلال والحرام، فكيف إذا كان... تلك الكفريات التى تعمى القلوب... يا خيبة من اتبعك فإنّه معرضٌ للزندقة والانحلال، لاسيما

ص: ۶

إذا كان قليل العلم والـدين.. فهل معظم أتباعك إلّاقعيـد مربوط خفيف العقل!؟ أو عامى كـذّاب بليـد الـذهن!؟ أو غريب واجم، قوى المكر!؟ أو نـاشف صالـح عـديم الفهم... يا مسلم! أقـدم حمار شـهوتك لمـدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادى الأخيار!؟ إلى كم تصادقها وتزدرى الأبرار!؟

إلى كم تعظّمهـا وتصـغر العبـاد!؟ إلى متى تخاللهـا وتمقت الزهّـاد!؟ إلى متى تمـدح كلامـك بكيفيـة لا تمـدح- واللَّه- بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك! بل من كل وقت تُغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار..» (۱)

وكاد الباطل أن يضـمحلَّ بعـد قطع دابر الـذين ظلموا، لولا أن تصـدّى بعض تلامذته، لمواصـلة مسيره والترويج لمذهبه، ولكن تلك المحاولاـت بـاءت بالخيبـة والفشـل أيضاً، ولم يكن لها كبير أثرٍ على المسـلمين، إلى أن ظهرت دعوة محمّـد بن عبـدالوهاب إمتـداداً لدعاوى ابن تيمية، بدعمٍ عسكرى من محمد بن سعود- وتحالفٍ بينهما- فكفَّر البلاد الإسلامية، وأنكر المسلّمات، وهاجَمَ المعتقدات، وانتهك الحرمات وسَفَكَ الدماء وقَتل الآلاف من الأبرياء.

فأحسَّ العالم الإسلامى بالخطر من جديد واستعدَّ للدفاع والمقاومة، وتأهَّب لحالة طوارى جديدة، وكان أوّلُ من تصدَّى له

۱- تكملة السيف الصقيل للكوثرى: ۱۹۰- كتبه من خط قاضـى القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خط الشيخ الحافظ أبى سعيـد ابن العلائى وقـد كتبه من خط الـذهبى، وذكر شـطراً منه العزامى فى الفرقان: ۱۲۹- انظر الغدير ۵: ۸۹- هـذا وقد حاول البعض إنكار هذه الرسالة ونفى صدورها عن الذهبى، ولكنها محاولة يائسة بلا طائل.

ص: ۷

والـده ثم أخوه الشـيخ سـليمان حيثُ ألَّف كتاباً فنَّد فيه عقائـدَ أخيه وأهـاب وحـذَّر المسـلمين منها ودعاهم للوقوف بوجه هـذا الغزو الفكرى الخطر ثم توالت محاولات التصـدى لمواجهـة هذا التيّار مواجهة علمية من قِبَل علماء من جميع المذاهب الإسـلامية، لتكذيب أحدوثته وتفنيد أباطيله بسيف الحجّة والبرهان.

وكان من الواجب على كل المسلمين القيام بدورهم فى مواجهة هذه التيّارات، وتفنيد مبانيها، وإظهار خطأ معتقداتها، وفضح شذوذها، وبُعدها عن الإسلام.

وأنا بـدورى كواحـد من طلبـة العلوم الدينيـة- فى الحوزة العلميـة- ومن آحاد المسـلمين- أعلى اللَّه كلمتهم- رأيت من واجبى القيام بتكليفى الشـرعى فى صـدِّ هـذا التيّار الهـدّام من خلال إلقاء الـدروس والمحاضـرات، وتوعيـة الجيل الجديـد على حقيقة هذه الدعوة الباطلة، وتحذيره ممّا يجرى بإسم الدين، وتوجيهه للقيام بمسؤوليته فى القضاء على مثل هذه الأفكار.

وهذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقيتُها فى هذا الصدد.

وسيلاحظ القارى الكريم فيه أننا:

۱- ناقشـنا الأحاديث التى تعتبرها الوهابيـة دليلًا تعتمـده وترتكز عليه فيما تـذهب إليه من الرأى الباطل، وأثبتنا خطأ ما ذهبت إليه. كما أوردنا آراء علماء الرجال بصدد رواتها، وأثبتنا ضعف تلك الأحاديث سنداً، حتى لا يبقى للوهابية ما ترتكز عليه من رواية وحديث.

۲- يمتاز هذا الكتاب عن بعض ما أُلِّف فى هذا المضمار بكثرة

ص: ۸

الشواهد والنصوص التاريخية، لردِّ دعوى الوهابية، والفضل والفخر للإمامين العلمين: الأمين- صاحب كشف الارتياب- والأميني صاحب الغدير، الَّذين سبقا فى بذل غاية الجهد فى تفنيد الفكرة الوهابية.

۳- اكتفينا فى هذا الحقل بالمواضيع التى كثيراً ما تثيرها الوهابية كمسألة زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وشدّ الرحال والقصد إليه، وزيارة القبور والتبرّك والتمسّح بها، وبالآثار، والصلاة والدعاء عند القبور، وفى المشاهد، والإسراج عندها، والنذر، ومسألة الشفاعة مع تفصيل ضرورى فيها، والحلف بغير اللَّه، وإقامة الاحتفالات وغيرها من المسائل التى تثيرها الوهابية، وكثيراً ما سمعناها ونسمعها من مشايخهم أيّام فريضة الحج سيما فى الحرمين الشريفين.

ونسمعها من أعضاء هيئة الأمر بالمعروف التى اعدَّت خصِّيصاً للخوض فى مناقشة الوافدين إلى الحج مناقشة محصورة فى خصوص هذه المحاور، ولا شأن لها بمسألة الاحتلال الصهيونى، وخطط إسرائيل الشيطانية فى المنطقة وفى العالم، ولا بمواقف أمريكا العدائية من المسلمين، ولا بقضايا الجزائر والسودان وافغانستان، أو مسلمى البانيا والبلقان.

وفى الختام نشكر صديقنا العزيز الاستاذ المحقّق على الشاوى الذى أتحفنا بملاحظات قيّمة فله منّا جزيل الشكر.

هذا ونحمد اللَّه تعالى على هذا التوفيق، انّه وليّ النِّعم.

قم المقدّسة/ نجم الدين الطبسى

۴/ شوال/ ۱۴۱۷ ه.

ص: ٩

المدخل

إنّ المنصف لو سبر عمق التاريخ ودرس سيرة الخوارج وأفكارهم المتحجرة وفهمهم الخاطئ للإسلام والقرآن والخلافة الإلهية وموقفهم تجاه المسلمين؛ من تكفيرهم جزافاً وجهلًا واستحلال دمائهم وأموالهم، ثم أنعم النظر وتأمّل بعين الإنصاف لا العصبية فی سلوك الوهابيين وفتاواهم وسياستهم تجاه الامّة الإسلامية، لرأى نهج الوهابية وخصائصها إمتداداً لحركة الخوارج فی النهج والخصائص والمسلمون من يوم تحكّم ابن وهاب، إلى يومنا هذا يدفعون ضريبة تأثير ذلك التيّار الخطر.

عندما نرى اليوم شعار: لا دعاء إلّاللّه، ولا شفاعة إلّاللّه، ولا توسّل إلّابااللّه، ولا إستعانة إلّابااللّه. يتداعى فی أذهاننا شعار الخوارج: لا حكم إلّاللّه.

عندما نرى اليوم حكم الوهابية بشرك من خالف معتقدهم ولم تسمع منهم إلّاخطاب: يا مشرك! ياكافر!.. يتداعى إلى الذهن تكفير

ص: ١٠

الخوارج من عداهم من المسلمين.

عندما نرى الوهابية كيف تهلك الحرث والنسل وتستأصل المسلمين بحجّة أنهم يطلبون الشفاعة من الميّت ويتوسّلون بالنبى والصالحين، يتداعى إلى الذهن جمود الخوارج وتحجّرهم وغباؤهم فى فهم الإسلام.

بينما تراهم يتورّعون عن أكل تمرة ملقاة فى الطريق بدعوى عدم رضا صاحبها، أو يتورّعون فى قتل خنزير شارد بدعوى احتمال أن يكون لكتابى فى ذمّة الإسلام، تراهم وبكل صلافة ووقاحة يقتلون صحابياً صائماً وفى عنقه القرآن ويتقرّبون بسفك دمه إلى اللّه تعالى، فترى المسلمين خوفاً من بطشهم وخشيةً على أنفسهم يتظاهرون بأنّهم من أهل الكتاب ولا يُظهرون أنّهم مسلمون (١)، بينما يسفك دم من يثنى على على بن أبى طالب عليه السلام ويقول فيه خيراً (٢).

حينما نرى من الوهابية تطبيق الآية الكريمة: وَأَنَّ المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً (٣) على من يتوسَّل بقبر النبى الكريم صلى الله عليه و آله أو بقبر صحابى جليل، أو بقبر أحد الصلحاء، يتداعى إلى الذهن تطبيق

١- لقيهم قوم مسلمون، فسألوهم من أنتم؟ وكان فيهم رجل ذو فطنة فقال- المسلم لاخوته- اتركو الجواب لى، قال: نحن قوم من أهل الكتاب، استجرنا بكم حتى نسمع كلام اللّه ثم تبلغونا مأمننا، فقالوا: لا تخفروا- أى أجيروا- ذمة نبيّكم فأسمعوهم شيئاً من القرآن وأرسلوا معهم من يوصلهم إلى مأمنهم. راجع كتاب: السيرة الحلبية ٣: ١۴٠.

٢- قالوا لعبد اللّه بن خباب ما تقول فى على؟ فأثنى خيراً. فقالوا: إنّك ممّن يتّبع الرجال على أسمائها، وفعلوا معه ما فعلوا. راجع السيرة الحلبية ٣: ١۴٠.

٣- الجن: ١٨.

ص: ۱۱

الخوارج آیات نزلت فی الکفار والمشرکین، علی المسلمین والمؤمنین کما قاله ابن عمرو ابن عباس، فعن ابن عمر: «انّهم انطلقوا إلی آیات نزلت فی الکفار فجعلوها فی المؤمنین» (۱)

وعن ابن عباس: «لاـ تکونوا کالخوارج تأَوَّلوا آیات القرآن فی أهل القبلهٔ، وانّما نزلت فی أهل الکتاب والمشرکین فجهلوا علمها فسفکوا الدماء وانتهبوا الأموال» (۲)

والحال أَنَّ من ضروریات الدین أن کل من أجری الشهادتین علی لسانه فهو محقون الدم، ومعدود من المسلمین وله ما لهم وعلیه ما علیهم، ولا حاجهٔ إلی کلفهٔ شق قلبه کی یعرف هل دخل الإیمان فی قلبه أو أنه أسلم بلسانه!!

ولعل هذا الأمر لم یکن عند الوهابیهٔ من الضرورات فباتت تکفر من لا یلتزم بمزاعمهم، کأنّهم نسوا الآیهٔ الکریمهٔ: ولا تقولوا لمن ألقی إلیکم السلام لست مؤمناً (۳)، أو لم یسمعوا مقالهٔ النبی الکریم صلی الله علیه و آله لأسامهٔ معترضاً علی ما ارتکبه: «فقد بعث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله سریهٔ علیها اسامهٔ بن زید إلی بنی ضمرهٔ. فلقوا رجلًا منهم یدعی مرداس بن نهیک معه غنم له، وجمل أحمر، فلما رآهم، آوی إلی کهف جبل واتبعه اسامهٔ، فلما بلغ مرداس الکهف، وضع فیه غنمه ثم أقبل إلیهم فقال:

السلام علیکم، أشهد أن لا إله إلّااللَّه وأن محمّداً رسول اللَّه، فشدَّ علیه

۱- انظر البخاری ۴: ۱۹۷.

۲- کشف الارتیاب: ۱۲۴.

۳- النساء: ۹۴.

ص: ١٢

اسامـة فقتله من أجل جمله وغنمه... فلما أكثروا عليه رفع صـلى الله عليه و آله رأسه إلى اسامة فقال: كيف أنت ولا إله إلّااللّه...؟ فقال: يارسول اللّه إنّما قالها متعوّذاً تعوّذ بها. فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: هلّا شققت عن قلبه فنظرت؟ فأنزل اللّه خبر هذا؛ وأخبر انّما قتله من أجل جمله وغنمه (١)

ان الخوارج «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميۀ» وفى روايۀ أُخرى: «يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميۀ» (٢) نخشى أن يكون قوله عليه السلام- حينما سألوه عن نجد- قال:

«هنالك الزلازل والفتن منها» (٣)، أو قوله: «بها يطلع قرن الشـيطان» ناظراً إلى هـذا التيار الـذى ظهر فى نجد والمتّبعين لرأيه فانّ معنى القرن كما فى القاموس: الأُمۀ، والمتبعون لرأيه، أو قومه وانتشاره وتسلّطه (۴)

نسأل اللّه عزّوجلّ أن يوحِّد كلمۀ المسلمين ويقوّى عزمهم على من سواهم، وينوّر قلبهم بهدى الإسلام ويرزقهم الفهم والبصيرۀ.

كمـا نأمـل أن يتقبّـل المتحجّرون الفرحون بما عنـدهم، فكرۀ الحوار وجهاً لوجه، لعل اللّه يزيل عنهم سوء الفهم والمغالطات ويرزقهم نور الفهم والإنفتاح على الحق والإقبال عليه إنّه ولىّ التوفيق.

١- الدر المنثور ٢: ٣٥٧. مجمع البيان ٣: ١۴٩.

٢- مسند أحمد ٢: ١١٨- الجامع الصحيح ۴: ۴٨١.

٣- مسند أحمد ٢: ٨١ و ۴: ۵.

۴- القاموس ٣: ٣٨٢، مادۀ قرن.

ص: ۱۳

الفصل الأوّل:

الشفاعة

الفصل الأوّل: الشفاعة

اشارة

۱- رأی الوهابیة فی الشفاعة

۲- معنی الشفاعة

۳- مورد الشفاعة

۴- دور الشفیع

۵- الشفعاء

۶- تقریر آخر للجواب

۷- حیاة النبی صلی الله علیه و آله بعد الموت

۸- رأی العلماء فی الحیاة بعد الموت

۹- استفهام وجواب

۱۰- رأی السُبکی فی بقاء الروح

۱۱- من الروایات فی الشفاعة

۱۲- طلب الشفاعة فی سیرة الصحابة

ص: ۱۴

ص: ۱۵

لقد منعت الوهابية طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين والملائكة- الذين أخبر اللّه تعالى بأن لهم الشفاعة- وجعلوه كفراً تحلُّ به دماءُ المستشفعين وأموالهم!

قال محمد بن عبدالوهاب: «إن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرّب إلى اللّه بذلك هو الذى أحلَّ دماءهم وأموالهم».

وهذا المضمون أخذه من ابن تيمية حيث قال: «إنّ الّذين قاتلهم النبى صلى الله عليه و آله مقرّون بما ذكرت وبأن أوثانهم لا تدبِّر شيئاً وانّما أرادوا الجاه والشفاعة وأنهم ما أرادوا ممّن قصدوا إلّاالشفاعة، وإن طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفّار ما نعبدهم إلّاليقرّبونا».

معنى الشفاعة:

وهى من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة

ص: ۱۶

الناقصـة التی مع المستشـفع فتکتمل الوسـیلة وترقی بالشـفیع إلی حدِّ القبول والتأثیر، فیتأهل المستشـفع لنیل المراد، والفوز بما لم یکن أهلًا للفوز به لنقص وسیلته وقصورها.

مورد الشفاعة:

إنَّ الإنسان لا یکون مورداً للشـفاعة إذا أراد نیل ثوابٍ أو درجـة من غیر سـعی ولا تهیئـة أسـباب بلوغ ذلک الثواب أو تلک الدرجـة، ویکون مورداً للشفاعة إذا کانت له القابلیة واللیاقة للتلبّس بالکمال وبلوغ الدرجة المقصودة وقد سعی لها سعیها، لکنه لم یتأهّل لنیلها، لنقص وسیلته بسبب تقصیر منه، فیأتی دور الشفیع هنا لرفع النقص، لأن الشفاعة متمّمة للسبب لا مستقلّة فی التأثیر.

دور الشفیع:

إنّ دور الشـفیع لا یعنی إبطال مولویـة المولی ولا إبطال عبودیـة العبد، ولا رفع الید عن الحکم المجعول، بل الشـفیع إمّا أن یتقدّم إلی المولی بصفات فی المولی سبحانه توجب العفو عن العبد والرأفة به: مثل السخاء والکرم والصفح و...

أو أنَّ الشـفیع یتقدّم إلی المولی بصفات فی العبد توجب رحمة المولی ورأفته به والتجاوز عنه: کالإعتقاد الحق، والصدق فی الاعتقاد، وطلب مرضاة المولی، وحبّه لأولیاء المولی وأحبائه، وسوء حال العبـد، ومسـکنته وذلّته، و.. أو بصـفاتٍ فی الشـفیع نفسه: مثل قربه من المولی،

ص: ١٧

وعلوّ منزلته عنده، و.. فكأنَّ الشفيع يقول: يارب لا أسألك إبطال المولوية ولا إبطال الحكم، ولا إبطال الجزاء، بل العفو. لأنَّ لك الكرم، أو لأنَّ العبدَ جاهل، أو لمنزلتى عندك.

فالشفاعة: حقيقتها التوسط فى إيصال نفع أو دفع شرٍّ بنحو الحكومة لا بنحو المضادّة.

يعنى: أنّ الشفيع يذكر بعضَ العوامل المؤثِّرة فى رفع العقاب بأن يخرج المورد- الشخص- عن كونه مصداق العقوبة إلى مورد آخر- مصداق الرأفة.

ثم إنّ الشفاعة كما أنّها تثبت لعدّةٍ من عباده: من الملائكة والناس من بعد الإذن والارتضاء، كذلك يمكن للعبد أن يتقدّم إلى اللَّه برحمته، أو بِذُلِّ نفسه وحقارتها، فى التوبة إلى اللَّه والعمل الصالح فيخرج نفسه عن كونه مصداقاً للمذنب المسيى إلى كونه مصداقاً للمحسن، وفى أمثال هذا العبد يقول تبارك وتعالى: فأولئك يبدِّل اللَّه سيّئاتهم حسنات (١) فله تعالى أن يبدِّل السيّئة حسنة كما أن يجعل رصيد الإنسان من الأعمال صِفراً: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً (٢)

الشفعاء:

الشفاعة نوعان: شفاعة تكوينية، والشفعاء فيها جملة الأسباب

١- الفرقان: ٧٠.

٢- الفرقان: ٢٣.

ص: ۱۸

الكونيهٔ بما هى وسائط بين اللّه وبين الأشياء.

وشـفاعهٔ تشريعيهٔ، وهى الواقعهٔ فى عالم التكليف، ومنها ما يستدعى فى الدنيا مغفرهٔ من اللّه سبحانه أو قرباً أو زلفى، فهو شفيع متوسط بين اللّه وبين عبده، ومنها:

۱- التوبـهٔ: كما قال تعالى: قل يا عبادى الـذين أسـرفوا على أنفسـهم لا تقنطوا من رحمهٔ اللّه إنَّ اللّه يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربّكم (۱) وتعمُّ جميع المعاصى حتى الشرك.

۲- الايمـان: يـا أيُّهـا الـذين آمنوا اتقوا اللّه وءامِنوا برسوله يؤْتِكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم واللّه غفور رحيم (۲)

۳- العمل الصالح: وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرهٔ وأجر عظيم (۳)

۴- القرآن: يهدى بهاللّه منِاتبع رضوانهسبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (۴)

۵- الأنبياء: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توّاباً رحيماً (۵)

۱- الزمر: ۵۴.

۲- الحديد: ۲۸.

۳- المائدهٔ: ۹.

۴- المائدهٔ: ۱۶.

۵- النساء: ۶۴.

ص: ۱۹

۶- الملائکة: الذین یحملون العرش ومن حوله یسبِّحون بحمد ربّهم ویؤمنون به ویستغفرون للذین آمنوا (۱)

والملائکة یسبِّحون بحمد ربّهم ویستغفرون لمن فی الأرض الا انّ اللّه هو الغفور الرحیم (۲)

۷- المؤمنون: باستغفارهم لأنفسهم ولاخوانهم المؤمنین، قال تعالی حکایة عنهم: واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولینا (۳)

ومنها: الشفیع یوم القیامة: بالمعنی الذی ذکرناه وهو اخراج المذنب عن کونه مصداقاً للعقوبة، إلی مورد کونه مصداقاً للرأفة والرحمة، وهم:

۱- الأنبیاء: وقالوااتخذ اللّهولداً سبحانه بل عبادٌ مکرمون- إلی قوله تعالی: ولا یشفعون إلّالمن ارتضی (۴) فإن منهم عیسی وهو نبی.

۲- الملائکة: قال تعالی: وکم من ملک فی السموات لا تغنی شفاعتهم شیئاً إلّامن بعد أن یأذن اللّه لمن یشاء ویرضی (۵)

۳- الشهداء: ولا یملک الذین یدعون من دونه الشفاعة إلّامن شهد بالحق وهم یعلمون (۶) وهی تدل علی أن تملکهم للشفاعة

۱- مؤمن: ۷.

۲- الشوری: ۵.

۳- البقرة: ۲۸۶.

۴- الأنبیاء: ۲۸.

۵- الزخرف: ۸۶.

۶- النجم: ۲۶.

ص: ۲۰

لشهادتهم بالحق، فكل شهيد فهو شفيع يملك الشهادة.

لكن المراد بالشهادة هنا: شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل فى المعركة.

۴- المؤمنون: ومن الآية السابقة يظهر أن المؤمنين أيضاً من الشفعاء، فإن اللّه عزّوجلّ أخبر بلحوقهم بالشهداء يوم القيامة، قال تعالى: والذين آمنوا باللّه ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربّهم (۱)، (۲).

۱- الحديد: ۱۹.

۲- هذا وقد تعرّض العلّامة الطباطبائى لإشكالات سبعة على الشفاعة والجواب عنها وها نحن نذكر بعضها وباختصار:

۱- لو كان رفع العقاب عن المجرم عدلًا، فالعقاب ظلم. وإن كان ظلماً، فكيف يسأل الأنبياء، ما هو ظلم؟

والجواب: إنّ رفع العقاب ليس معناه: نقض الحكم الأول ونقضاً للعقوبة. بل بمعنى إخراج المجرم عن كونه مصداقاً للعقوبة بجعله مصداقاً لشمول الرحمة والرأفة.

۲- إن الشفاعة توجب التخلف والاختلاف ورفع العقاب بالشفاعة عن المجرمين فى جرائمهم موجب لنقض الغرض المحال، إذ سنّة اللّه تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف، فما قضى وحُكم به يُجريه على وتيرة واحدة من غير استثناء.

والجواب: يأبى اللّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها، فالحكم له سبب، ولعل هناك أسباب كثيرة أخرى تستدعى غير ما يقتضيه هذا السبب الواحد.

۳- إنّ الشفاعة المعروفة هى حمل المشفوع عنده على ترك ما أراد فعله، أو فعل ما أراد. فالشفاعة تصرّف فى إرادة الربّ وحكمه وهو محال.

والجواب: إنّ الشفاعة ليست من التغيّر فى الإرادة والعلم، بل فى المراد والمعلوم. فهو سبحانه يعلم ان الإنسان الفلانى سوف تجرى عليه حالات متعدّدة فيكون فى حين كذا على حال كذا، لاقتران أسباب وشرائط خاصة، فيريد فيه بارادة، ثم يكون فى حين آخر على حال آخر جديد، يخالف الأول لاقتران أسباب وشرائط اخر، فيريد فيه بإرادة أُخرى وكلّ يوم هو فى شأن و يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب.

۴- إنّ وعد الشفاعة، يستلزم تجرّى الناس على المعصية.

والجواب بالنقض أولًا: بالآيات الدالة على شمول المغفرة وسعة الرحمة فى غير مورد التوبة، بدليل استثنائه الشرك المغفور بالتوبة.

وثانياً بالحل الوعد بالشفاعة إنّما يستلزم تجرّى الناس على المعصية بشرطين:

الأوّل: تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذنب الذى تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس بنحو الانجاز من غير تعليق بشرط جائز.

الثانى: تأثير الشفاعة فى جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تقلعه من أصله قلعاً.

ومن المعلوم أن هذين الشرطين ليسا من الوعد بالشفاعة بشىء. تفسير الميزان ۱: ۱۶۸.هذا وقد تعرّض العلّامة الطباطبائى لإشكالات سبعة على الشفاعة والجواب عنها وها نحن نذكر بعضها وباختصار:

۱- لو كان رفع العقاب عن المجرم عدلًا، فالعقاب ظلم. وإن كان ظلماً، فكيف يسأل الأنبياء، ما هو ظلم؟

والجواب: إنّ رفع العقاب ليس معناه: نقض الحكم الأول ونقضاً للعقوبة. بل بمعنى إخراج المجرم عن كونه مصداقاً للعقوبة بجعله مصداقاً لشمول الرحمة والرأفة.

۲- إن الشفاعة توجب التخلف والاختلاف ورفع العقاب بالشفاعة عن المجرمين فى جرائمهم موجب لنقض الغرض المحال، إذ سنّة

اللَّه تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف، فما قضى وحُكم به يُجريه على وتيرة واحدة من غير استثناء.

والجواب: يأبى اللَّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها، فالحكم له سبب، ولعل هناك أسباب كثيرة أخرى تستدعى غير ما يقتضيه هذا السبب الواحد.

٣- إنّ الشفاعة المعروفة هى حمل المشفوع عنده على ترك ما أراد فعله، أو فعل ما أراد. فالشفاعة تصرّف فى إرادة الربّ وحكمه وهو محال.

والجواب: إنّ الشفاعة ليست من التغيّر فى الإرادة والعلم، بل فى المراد والمعلوم. فهو سبحانه يعلم ان الإنسان الفلانى سوف تجرى عليه حالات متعدّدة فيكون فى حين كذا على حال كذا، لاقتران أسباب وشرائط خاصة، فيريد فيه بارادة، ثم يكون فى حين آخر على حال آخر جديد، يخالف الأول لاقتران أسباب وشرائط اخر، فيريد فيه بإرادة أُخرى وكلّ يوم هو فى شأن و يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب.

٤- إنّ وعد الشفاعة، يستلزم تجرّى الناس على المعصية.

والجواب بالنقض أولًا: بالآيات الدالة على شمول المغفرة وسعة الرحمة فى غير مورد التوبة، بدليل استثنائه الشرك المغفور بالتوبة.

وثانياً بالحل الوعد بالشفاعة إنّما يستلزم تجرّى الناس على المعصية بشرطين:

الأوّل: تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذنب الذى تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس بنحو الانجاز من غير تعليق بشرط جائز.

الثانى: تأثير الشفاعة فى جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تقلعه من أصله قلعاً.

ومن المعلوم أن هذين الشرطين ليسا من الوعد بالشفاعة بشىء. تفسير الميزان ١: ١۶٨.

ص: ٢١

تقرير آخر للجواب:

أوّلًا: إنّ معنى الشفاعة هو الطلب من المشفوع عنده، أمراً للمشفوع له. فشفاعة النبى صلى الله عليه و آله أو غيره، معناه: دعائه إلى اللَّه للغير، وطلبه من اللَّه غفران الذنب وقضاء الحوائج، فالشفاعة نوع من الدعاء.

فعن الرازى ذيل الآية الكريمة: ومن يشفع شفاعة حَسَنة يكن له نصيب منها (١) قال مقاتل: الشفاعة إلى اللَّه إنّما تكون بالدعاء. واحتج بما روى أبو الدرداء أن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استُجيب له، وقال: المَلَك: له ولك مثل ذلك» (٢).

١- النساء: ٨٥.

٢- التفسير الكبير ١٠: ٢٠٧.

ص: ٢٢

اذن: طلب الشفاعة من الغير، عبارة اخرى عن طلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أى مؤمن كان، كما اعترف محمد ابن عبد الوهاب بجواز طلب الدعاء من الحيّ، بل جوازه يُعدّ من ضروريات الدين، وحينئذٍ فيجوز طلب الشفاعة (أى الدعاء) من كل مؤمن فضلًا عن الأنبياء والصالحين وفضلًا عن سيّد المرسلين.

إن قلت: لابدّ وأن يكون للشفيع جاه عند المشفوع إليه.

قلت: إنّ اللّه جعل حرمة (١) لكل مؤمن يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه. أضف إلى ذلك ثبوت الشفاعة- كما مرّ- لآحاد المؤمنين وللملائكة، وأنها ليست من خاصة الأنبياء.

شفاعة الملائكة:

قال الرازى ذيل هذه الآية: الذين يحملون العرش ومن حوله.. ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعتَ كلَّ شيءٍ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهِم عذاب الجحيم. ربّنا وادخلهم جنات عدنٍ التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم.. وقِهِم السيّئات (٢).

قال: هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة

١- عن الأسلمى عن النبى صلى الله عليه و آله وهو يخاطب الكعبة: ما أعظمك وأعظم حُرمتك، والمؤمن أعظم حُرمة عند اللّه منكِ. سنن الترمذى ۴: ٣٧٨ ب ٨٥ ح ٢٠٣٢.

٢- غافر: ٧- ٩.

ص: ۲۳

للمذنبين» (۱).

كما وقعت الشفاعة من النبى صلى الله عليه و آله وغيره من الأنبياء عليهم السلام وأمره اللّه بها. فقال: واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (۲).

وحكى عن نوح أنّه قال: ربِّ اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات (۳).

والنتيجة: ان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء، وطلب المغفرة.

شفاعة الحجر الأسود:

عن على عليه السلام: أشهدوا هذا الحجر خيراً فانّه يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه (۴)

رواه أبو نعيم فى مسلسلاته وقال: صحيح ثابت عن على عليه السلام.

قال‌العزيزى فى الشرح: أشهدوا أى اجعلوا الحجر الأسود شهيداً لكم على‌خير تفعلونه عنده‌كتقبيل واستلام أو دعاء. أوذكرعنده وقوله: فانّه شافع: أى فيمن أشهده خيراً، متشفّع: أى مقبول الشفاعة (۵)

إذن: الإشهاد هنا بمعنى طلب الشفاعة منه، مع أنّه جماد لا يعقل ولا ينطق، وقد أُمرنا بإشهاده ولم يكن ذلك شركاً. وإلّا- لو كان

۱- التفسير الكبير ۲۷: ۳۲.

۲- محمد: ۱۹.

۳- نوح: ۲۸.

۴- كنز العمال ۱۲: ۲۱۷ ح ۳۴۷۳۹- جامع الصغير للسيوطى: ۲۲۵.

۵- فيض القدير ۱: ۵۲۷.

ص: ۲۴

شركاً- لم يغيّره الأمر، لأن الحكم لا يغيّر الموضوع.

فالشفاعة والدعاء من مقولة واحدة، وليس حتماً على اللّه قبول الشفاعة ولا إجابة الدعاء، وانّما ذلك من ألطافه وتفضّله.

شفاعة الأموات:

فعن ابن تيمية: انّها بدعة، وعن ابن عبد الوهاب والصنعانى: كفر وشرك. قال ابن تيمية: «أمّا الميّت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا ولا: إسأل لنا ربّك، ولم يَنقل هذا أحدٌ من الصحابة والتابعين ولا أمَرَ به أحدٌ من الأئمة ولا ورد فيه حديث».

والجواب: أوّلًا: إن كان منع- وحرمة طلب الشفاعة من الأموات- إنّما هو لأجل تعذر خطاب المعدوم على فرض أن الميّت معدوم! فنقول: إنَّ النبىّ صلى الله عليه و آله- وسائر الأنبياء عليهم السلام أحياء بعد الموت- وإنّه يسمع الكلام ويَردّ الجواب ويبلغه صلاة وتسليم من يصلّى ويسلِّم عليه، وإنَّ علمه بعد وفاته كعلمه فى حياته، وإن أعمال امّته تعرض عليه وانّه يستغفر لُامّته (۱) وهذا ما صرّح به العلماء والمتكلّمون وسيجىء البحث عنه، وهذا ما لا يمكن لأحد انكاره.

حياة النبى صلى الله عليه و آله بعد الموت:

ان هذا هو المتفق عليه عند محققى المتكلّمين وغيرهم. قال

۱- انظر محاسبة النفس، الباب الثالث: ۱۸ وكشف الارتياب: ۲۱۷.

ص: ۲۵

السمهودی (۱): «لاشک فی حیاته بعد وفاته، وکذا سائر الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام أحیاء فی قبورهم، حیاة أکمل من حیاة الشهداء التی أخبر اللّه تعالی بها فی کتابه العزیز، ونبیّنا صلی الله علیه و آله سیّد الشهداء، وأعمال الشهداء فی میزانه، وقد قال صلی الله علیه و آله: علمی بعد وفاتی کعلمی فی حیاتی، رواه الحافظ المنذری.

وروی ابن عدی فی کامله: عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «الأنبیاء أحیاء فی قبورهم یصَّلون» رواه أبو یعلی برجال ثقات ورواه البیهقی وصححه» (۲).

وقال البیهقی: ولحیاة الأنبیاء- صلوات اللّه وسلامه علیهم- بعد موتهم شواهد من الأحادیث الصحیحة، ثم ذکر حدیث- مررتُ بموسی وهو قائم یصلّی فی قبره، وغیره من أحادیث لقاء النبی بالأنبیاء وصلاته بهم.

وروی ابن ماجه بإسناد جیّد- کما قال المنذری- عن أبی

۱- نور الدین علی بن أحمد ویعرف بالسمهودی نزیل المدینة المنورة، وعالمها ومفتیهاومدرسّها ومؤرّخها الشافعی الإمام القدوة الحجة، ولد فی صفر ۸۴۴ ه، وانتفع به جماعة الطلبة فی الحرمین، وألّف عدّة تآلیف...

قال السخاوی: قلَّ أن یکون أحدٌ من أهلها لم یقرأ علیه، وبالجملة فهو إمام مفنن متمیّز فی الأصلین والفقه، مدیمُ العلم والجمع والتآلیف متوجّه للعبادة والمباحثة والمناظرة، قویّ الجلادة طلق العبارة مع قوّة یقین، وعلی کل حال فهو فرید فی مجموعه. توفی عام ۹۱۱ ه.

انظر شذرات الذهب ۸: ۵۱ لابن عماد الحنبلی. والضوء اللامع ۵: ۲۴۵ لمحمد بن عبدالرحمن السخاوی.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۹.

ص: ۲۶

الدرداء، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله اكثروا الصلاة علىَّ يوم الجمعة، فإنّه مشهودٌ تشهده الملائكة، وإن أحدٌ يصلّى علىَّ إلّاعرضت علىَّ صلاته حين يفرغ منها.

قال: قلت وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إنّ اللَّه حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فنبىّ اللَّه حىّ يرزق.

روى البزار برجال الصحيح عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه و آله إنّ للَّه ملائكة سياحين يبلغونى عن امّتى وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: حياتى خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خيرٌ لكم تعرض علىَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدتُ اللَّه عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرت اللَّه لكم.

قال أبو منصور البغدادى: قال المتكلّمون المحقّقون من أصحابنا:

إنّ نبيّنا محمّداً صلى الله عليه و آله حىٌّ بعد وفاته، يُسِّرُ بطاعات امّته، وإنّ الأنبياء صلوات اللَّه عليهم لايبلون.

وقال البيهقى فى كتاب الاعتقاد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدَّت إليهم أرواحهم فهم أحياء (۱) عند ربّهم كالشهداء.

وقد رأى نبيّنا ليلة المعراج جماعة منهم، قال وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً.

وأضاف السمهودى: قلت ويؤيّد ذلك حديث: إنّ عيسى بن مريم

۱- عن النبى صلى الله عليه و آله: «مررت بموسى وهو يصلّى فى قبره» وقبره بمدين بين المدينة وبين بيت‌المقدس- سير أعلام النبلاء ۱۶: ۹۹- صحيح مسلم ج ۲ ص ۲۳۷۵، سنن النسائى ۳: ۲۱۶- مسند أحمد ۳: ۱۴۸- ابن حبان.

ص: ۲۷

مار بالمدينة حاجّاً أو معتمراً، وإن سلَّم عليَّ لأَردنَّ عليه..

وأمّا أدلّة حياة الأنبياء، فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء، ومع قوّة النفوذ فى العالم. وقد أوضحنا المسألة فى كتابنا المسمّى ب «الوفاء لما يجب لحضرة المصطفى» (۱).

وقال القسطلانى: «ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة، ونبينا أفضلهم، وإذا كان كذلك فينبغى أن تكون حياته اكمل واتم من حياة سائرهم»(۲).

اذن بعد هذه التصريحات من العلماء والمحققين، وبعد هذه الروايات الصحيحة الواردة فى كتب السنة هل يبقى مجال لقول ابن تيمية ومن تبعه؟ وهل يمكن القول بأن الشفاعة وطلب الدعاء من النبى والصالحين يكون بدعة أو كفراً أو شركاً؟ فلا يبقى إلّاالقول: بأن الواجب عليهم إعادة النظر فيما قالوه، والتتبع ومراجعة الأحاديث وكلمات المحقّقين لكى يعرف بُعْدُ هذه الأقاويل عن الحقل العلمى ومجال التحقيق. وإن دلّت هذه الآراء على شىء لدلَّت على قلّة معلوماتهم بأُصولهم ومبانيهم.

رأى العلماء فى الحياة بعد الموت:

۱- قال الفقيه أبو بكر العربى (فى الأمد الأقصى فى تفسير الأسماء

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۹.

۲- المواهب اللدنية ۳: ۴۱۳.

ص: ۲۸

الحسنى): إنّ إحياء المكلّفين فى القبر وسؤالهم جميعاً لا خلاف فيه بين أهل السنّة (۱).

۲- وقال سيف الدين الآمدى فى كتاب «أبكار الأفكار»: إتفق سلف الامّة، قبل ظهور المخالف وأكثرهم بعد ظهوره على إثبات إحياء الموتى فى قبورهم (۲).

۳- وقال السُبكى: «وقد أجمع أهل السنّة على إثبات الحياة فى القبور، قال إمام الحرمين فى الشامل: اتفق سلف الامّة على إثبات عذاب القبر وإحياء الموتى فى قبورهم وردّ الأرواح فى أجسادهم..

أضاف السبكى بعد نقل هذه الأقوال: وقد تلخّص من هذا: أنَّ الروح تعاد إلى الجسد ويحيى وقت المسألة وإنه ينعم أو يعذّب من ذلك الوقت إلى يوم البعث (۳).

۴- وقال ابن تيمية فى كتاب: «اقتضاء الصراط المستقيم إن الشهداء، بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم، وسلَّم عليهم عرفوا به، وردّوا عليه السلام، قال السمهودى: فإذا كان هذا فى آحاد المؤمنين فكيف بسيّد المرسلين» (۴).

۵- عن الغزالى: كان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخّرت إلى يوم الاـثنين؟ فقال: بلغنى أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم

۱- شفاء السقام: ۲۰۴.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۱.

۳- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۱۲.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۱.

ص: ۲۹

الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده» (۱).

- قال الشيخ منصور حول الحياة بعد الموت:

فأنه أورد حديثا عن ابن عباس: مرّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بقبور المدينة، فأقبَلَ عليهم بوجهه فقال: السلام عليكم ياأهل القبور يغفر اللّه لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر. رواه الترمذى بسند حسن.

وقال فى الشرح: فيندب لزائر القبور: السلام عليكم أولًا، والدعاء له ولهم ثانياً ويتأكّد الاخلاص فانّه مفتاح القبول. وطلب السلام على الموتى يفيد انّهم يشعرون ويدركون، فإن الموت ليس عدماً محضاً بل هو انتقال من دار إلى دار، يفنى الجسم وتبقى الروح كاملة الإحساس فى عذاب أو نعيم إلى يوم يبعثون (۲).

وقال فى شرح قوله عليه السلام «إلّا ردَّ اللّه علىَّ روحى» قال: أى نطقى وإفاقتى من استغراقى فى أحوال الملكوت، وإلّا فالأنبياء أحياء فى قبورهم كما تقدم فى باب الجمعة (۳).

وقال فى باب الجمعة بعد حديث أوس بن أوس عن النبى صلى الله عليه و آله إن من أفضل أيامكم الجمعة فيه خُلِقَ آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه، فانّ صلاتكم معروضة علىّ، قالوا: يارسول اللّه وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرَمْتَ (رميماً) فقال: إنّ اللّه حرّم على الأرض أجساد الأنبياء.

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۱۲.

۲- التاج الجامع للاصول ۱: ۳۸۱.

۳- التاج الجامع للاصول ۱: ۲۹۱.

ص: ۳۰

رواه أبو داود والنسائی بسند صحیح.

قال فی الشرح: بأمر اللَّه تعالی فیسمعها فینسرّ بها، لأنّه فی قبره حیّ ویفرح بصلاة المصلّین علیه ففیها رفع درجات له ولهم.. وامّا فی غیر یوم الجمعة فإن الصلاة علیه تبلغه علی لسان ملائکة مخصوصین بهذا، کما تبلغه أعمال الامّة فی یوم الخمیس بواسطة ملائکة لهذا (۱).

وعبداللَّه بن أبی أوفی عن النبی صلی الله علیه و آله: أکثروا الصلاة علیَّ یوم الجمعة، فإنی أُبلَّغ واستمع. رواه الشافعی وابن ماجة (۲).

استفهام:

هنا سؤال یطرح نفسه وهو أن الحدیث النبوی: إلّاردّ اللَّه علیّ روحی (۳) حتی اردّ علیه» دال علی عدم استمرار الحیاة.

والجواب:

۱- یحتمل أن یکون ردّاً معنویاً وأن یکون روحه الشریفة مشتغلة بشهود الحضرة، والملأ الأعلی عن هذا العالم. فإذا سلّم علیه أقبلت روحه علی هذا العالم لتدارک السلام وتردّ علی المسلِّم، یعنی إنَّ ردّ روحه الشریفة التفاتُ روحانی وتنزل إلی دوائر البشریة من الاستغراق فی الحضرة العلیة- کما قال السُبکی.

۱- التاج الجامع للاصول ۱: ۲۹۲.

۲- المصدر السابق.

۳- قال الشیخ منصور: أی نطقی وإفاقتی من إستغراقی فی أحوال الملکوت وإلّا فالأنبیاء أحیاء فی قبورهم. «التاج الجامع للاصول ۱: ۲۹۰».

ص: ۳۱

۲- ویحتمل أن یکون الخطاب علی مقدار فهم المخاطبین فی الخارج من الدنیا انّه لابدّ من عود روحه حتی یسمع ویجیب فکأنه قال: أنا اجیب ذلک تمام الإجابة، واسمعه تمام السماع، مع دلالته علی ردّ الروح عند سلام أوّل مسلِّم، وقبضها بعد لم یرد ولا قائل بتکرّر ذلک إلی توالی موتات لا تُحصی.

مع انّا نعتقد ثبوت الأدراکات کالعلم والسماع لسائر الموتی، فضلًا عن الأنبیاء ویقطع بعود الحیاة لکل میّت فی قبره کما ثبت فی السنّة، ولم یثبت انّه یموت بعد ذلک موتة ثانیة بل ثبت نعیم القبر وعذابه وإدراک ذلک من الاعراض المشروط بالحیاة لکن یکفی فیه حیاة جزء یقع به الإدراک فلا یتوقف علی البینة کما زعم المعتزلة» (۱).

إذن: الجواب الأوّل علی کلام ابن تیمیة- فی عدم جواز طلب الشفاعة من الأنبیاء- هو انّهم أحیاء فی قبورهم فلم یکن طلب الشفاعة من المیّت.

والجواب الثانی: إنّ الشهداء أحیاء بنصّ القرآن الکریم بل أحیاء عند ربهم (۲) ولاشک فی أن درجة النبوّة أعظم من درجة الشهادة والشهداء، وأن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء (۳). فإذا

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۵.

۲- آل عمران: ۱۶۹.

۳- کنز العمال ۱۰: ۱۴۱ رقم الحدیث ۲۸۷۱۵- بحار الأنوار ۲: ۱۴ عن أمالی الصدوق.

ونص الحدیث فی الکنز: یوزن یوم القیامة مداد العلماء، ودم الشهداء، فیرجّح علیهم مداد العلماء علی دم الشهداء.

ص: ۳۲

کـان القتیـل فی سبیل اللّه حی، فالنبی صـلی الله علیه و آله کـذلک حیّ قطعاً. وقـد صـرّح بـذلک البیهقی فی کتاب الاعتقاد: «الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدّت إلیهم أرواحهم فهم أحیاء عند ربّهم کالشهداء» (۱).

الجواب الثالث: لو فرضـنا ان المیّت لا یسمع الکلام ولا یقدر علی الدعاء، لکن طلب الدعاء منه لا یوجب محذوراً ولا یوجب کفراً إذ یکون هذا مثل أن یطلب القراءة من الأعمی بظنّه بصیراً.

الجواب الرابع: إنّ فعل السـلف من الصـحابة وغیرهم فی الاستشـفاع والاستغاثة وطلب الدعاء من النبی صلی الله علیه و آله بعد وفاته- وحتی من غیر النبی صلی الله علیه و آله من الصالحین- یدل علی مشروعیته وجوازه وسنورد الأمثلة علی ذلک.

الجواب الخـامس: إن الروح باقیـة- بعـد الموت- غیر فانیـة ویمکنها السؤال والـدعاء. وقـد اسـتدل الفخر الرازی فی تفسـیره ذیل الآیة الکریمة: قل الروح من أمر ربی (۲) استدل علی بقاء الأرواح بعد موت الأجسام بسبعة عشر دلیل منه:

۱- قوله علیه السلام فی خطبة طویلة: حتی إذا حمل المیت علی نعشه رفرف روحه فوق النعش ویقول: یا أهلی ویاولدی لا تلعبن بکم الدنیا کما لعبت بی...» فهذا تصریح بأن فی الوقت الذی کان الجسد میّتاً محمولًا کان ذلک الإنسان حیّاً باقیاً فاهماً...

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۵.

۲- الإسراء: ۸۵.

ص: ۳۳

۲- قوله تعالى: يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعى... (۱) دلّ على أن الشىء الذى يرجع إلى اللّه بعد موت الجسد يكون حيّاً راضياً عن اللّه ويكون اللّه عنه راضياً، والذى يكون راضياً ليس إلّاالإنسان فهذا يدل على ان الإنسان بقى حيّاً بعد موت الجسد...

۳- قوله عليه السلام: «أنبياء اللّه لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار» و «من مات فقد قامت قيامته» وقوله: «القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران...» كل هذه النصوص تدل على ان الإنسان يبقى حيّاً بعد موت الجسد..

۴- قوله تعالى: حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ثم ردوا إلى اللّه مولاهم الحق (۲) أثبت كونهم مردودين إلى اللّه الذى هو مولاهم حال كون الجسد ميّتاً، فوجب أن يكون ذلك المردود إلى اللّه مغايراً لذلك الجسد الميّت.

۵- نرى جميع فِرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون إلى زياراتهم، ولولا أنّهم بعد موت الجسد أحياء لكان التصدّق عنهم عبثاً، والدعاء لهم عبثاً، ولكان الذهاب إلى زيارتهم عبثاً، فالإطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرتهم الأصلية السليمة شاهدة بأن الإنسان شىء غير

۱- الفجر: ۲۷.

۲- الانعام: ۶۱.

ص: ۳۴

هذا الجسد وان ذلك الشيء لايموت، بل الذى يموت هذا الجسد» (۱).

والحاصل: إن الفطرة السليمة تشهد بحيات الروح بعد الموت والآيات الكريمة والسنّة الشريفة كذلك يشهدان على بقاء الروح.

وعليه: ما المانع وما المحذور من طلب الدعاء والشفاعة من الأرواح الطيبة التى هى احياء بشهادة الكتاب والسنّة وبشهادة الفطرة السليمة؟ وهل هذا يوجب البدعة والكفر، والشرك، أو ينشأ عن عدم الرجوع إلى الفطرة وعدم التدبّر فى النصوص؟

رأى السُبكى فى بقاء الروح:

سُئِل السبكى عن الأرواح هل تفنى كما تفنى الأجسام؟

فأجاب: امّا الأرواح فالسؤال عنها إمّا على مذهب الحكماء وامّا على مذهب المتشرّعين:... وامّا المشرّعون فقد اطبقوا على انّها باقية بعد مفارقة البدن، فإن ذلك ممكن. وقد دلّت الشرائع على وقوعه ولا أعلم بين الشرائع خلافاً فى ذلك إلّاأن الإمام فخر الدين قال: فى العالم هذه الاعتبارات العقلية إذا انضمّت إلى أقوال جمهور الأنبياء والحكماء أفادت الجزم ببقاء النفس. فقوله: جمهور الأنبياء يوهم عدم اجتماعهم على ذلك. وهذا الإيهام غير معمول عليه ولا أظنُّه أراده فى أوّل كلامه انّهم أطبقوا على بقائها.

فهذا ما يجب اعتقاده واستقر الشرائع والكتب المنزلة وآيات

۱- التفسير الكبير ۲۱: ۴۱.

ص: ۳۵

القرآن والأخبار المتكاثرة التى لايمكن تأويلها ويقطع بالمراد منها ما يدل على بقاء النفوس بعد مفارقة البدن ولا يشك فى ذلك أحد من أهل الإسلام لا- عالم ولا عامى، بل زادوا على ذلك وادعوا إطلاق القول بحياة جميع الموتى ونقل جماعة من المتقدّمين الإجماع على ذلك وقالوا فى قوله تعالى: ولا تقولوا لمن يقتل (۱) إن هذا ليس خاصّاً بمن يُقتل فى سبيل اللّه وانّما قصد بالآية الرد على الكفّار القائلين بعدم البعث وان بالموت يفنى الإنسان بالكلية ولا يبقى له أثر من إحساس ونحوه.

فردَّ اللّه عليهم، ولكن حياة الموتى مختلفة فحياة الشهيد أعظم وحياة المؤمن الذى ليس بشهيد دونه وحياة الكافر لما يحصل له العذاب دونه والكل مشتركون فى الحياة ومنهم من يبلى جسده، ومنهم لا- يبلى، والأرواح كلّها باقية. هذا دين الإسلام. ولو تتبع الإنسان آيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه و آله الدالّة على ذلك لبلغت مبلغاً عظيماً ولا حاجة إلى التطويل فى ذلك فانّه معلوم من دين الإسلام بالضرورة» (۲).

وعليه فما حجّة الوهابية فى التهجّم والتكفير لمن توسّل واستشفع بهذه الأرواح، أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين مع أن الأرواح باقية بضرورة دين الإسلام، بشهادة الروايات الكريمة والأحاديث الشريفة.

لعل حجّتهم، جهلهم وعدم تدبّرهم فى الآيات والنصوص والجاهل معذور إن كان قاصراً لا مقصّراً.

الجواب السادس: إن الاعتقاد بأن الميّت يسمع، أو لا يسمع لا

۱- البقرة: ۱۵۴.

۲- فتاوى السُبكى ۲: ۶۳۶.

ص: ۳۶

یکون من أصول الـدین ولاـ من أرکـانه، ولیس من الواجبات بحیث لو التزم أحـد بخلافه یکون مبتـدعاً. وعلیه فمن اعتقـد به: فهو امّا مصیب مأجور، أو مخطئ معـذور کما ورد فی کتب الصـحاح والسـنن (۱). فلاـ یوجب اعتقـاده شـرکاً ولا إثماً کیف والفخر الرازی المفسِّر الکـبیر (۲) یعتقـد بـأن الروح باقیـة والـدعاء والزیـارة والنـذر والتصـدّق للمیّت إنّمـا هو بلحاظ هـذه الجهـة، فهل ینسب الکفر والشرک والبدعة إلیه!!؟

کما ان المفسّرین قالوا فی ذیل الآیة الکریمة: الیوم ننجیک ببدنک (۳) بأنّها کالصریح أو هو صریح فی أن النفوس وراء الأبدان (۴).

من الروایات فی الشفاعة:

۱- عن أنس: سألتُ النبی أن یشفع لی یوم القیامة، فقال: أنا فاعل، قلت: فأین أطلبک؟ قال: علی الصراط (۵).

۲- أتی سواد بن قارب إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وطلب منه الشفاعة فی

۱- صحیح البخاری ۹: ۱۹۳ کتاب الاعتصام- صحیح مسلم ۵: ۱۳۱- کتاب الأقضیة.

هـذا: وکتبنا خالیـة عن هـذا النص، ممّا یدل علی عدم اعتباره عندنا- سنداً- أضف إلی أن سـنده أیضاً مخدوش- علی بعض الطرق- علی مبناهم إذ فی طریقه مولی عمرو بن العاص وهو مجهول وفی الطرق الاخری إرسال. انظر عمدة القاری ۲۵: ۶۷.

۲- هو أبو عبـداللّه محمـد بن عمر بن الحسـین بن الحسن التیمی الطبری الأصـل الرازی المولـد، الأشـعری الأـصول، الشافعی الفروع، المعروف بالإمام فخر الدین والملقب بابن الخطیب ..» الکنی والألقاب ۳: ۱۳.

۳- یونس: ۶۲.

۴- انظر تفسیر المیزان ۱۰: ۱۲۱.

۵- الجامع الصحیح ۴: ۶۲۱ ح ۲۴۳۳.

ص: ۳۷

أبیات:

فکن لی شفیعاً یوم لا ذو شفاعة سواک بمغنٍ عن سواد بن قارب

(۱)

طلب الشفاعة فی سیرة الصحابة:

۱- عن ابن عباس لما فرغ علی علیه السلام من تغسیل النبی صلی الله علیه و آله قال:

بأبی أنت وامّی.. طبتَ حیّاً وطبتَ میّتاً.. اذکرنا عند ربّک (۲).

۲- کشف أبو بکر عن وجه النبی صلی الله علیه و آله وقبّله وقال مثله (۳).

۳- إن الناس أصابهم القحط فی خلافة عمر بن الخطاب، فجاء بلال بن الحارث- وکان من أصحاب النبی صلی الله علیه و آله- إلی قبر النبی صلی الله علیه و آله وقال: یارسول اللّه صلی الله علیه و آله استسق لُامّتک، فأنّهم قد هلکوا فأتاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی المنام وأخبره أنّهم سیسقون (۴).

إذن فالاستسقاء منه وهو فی البرزخ، ودعاؤه لربّه فی هذه الحالة غیر ممتنع، وکذلک علم النبی صلی الله علیه و آله- وهو فی البرزخ- بسؤال من یسأله فلا مانع من استسقاءه، وغیر ذلک کما کانوا یسألونه فی الدنیا، فلا یکون بدعة ولا شرکاً ولا کفراً.

فإن قلت: إنَّ الاستشفاع بالمیّت ممنوع من حیث توهّم عبادته.

۱- الدرر السنیة: ۲۹، کشف الارتیاب ۲۶۳، الاصابة ۲: ۹۶، انظر اسد الغابة ۳: ۳۷۵.

۲- امالی المفید: ۱۰۵ وعنه البحار ۲۲: ۵۲۷.

۳- انظر کشف الارتیاب: ۲۶۵ نقلًا عن خلاصة الکلام لزینی دحلان.

۴- فتح الباری ۲: ۳۹۸، انظر السنن الکبری ۳: ۳۵۱، ووفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۴.

ص: ٣٨

قلت: إن الاستشفاع بالحیّ والطلب منه کذلک فیه شبهة العبادة له، فما هو الدافع لهذه الشبهة؟

إذن بعد هذه الأدلّة والنصوص والشواهد لا یبقی مجال لمزاعم الوهابیة بحرمة طلب الشفاعة من المیّت.

ومن الغریب دعواهم عدم ورود ذلک من أی صحابی وتابعی.

نعم: إنّ أمثال هذه الفتاوی تدل علی عدم اطلاع قائلها بمصادر التشریع، ولا بفعل الصحابة، وتدل علی أنها قول بغیر علم.

ص: ۳۹

الفصل الثانی: التبرّک بالقبور

اشارة

التبرّک بالقبور

۱- رأی الوهابیة

۲- مناقشة الفکرة

۳- تبرّک الصحابة بالقبور

۴- رأی الفقهاء السنّة فی التبرّک

۵- روایة فی تقبیل القبر

۶- التبرّک بالآثار

۷- رأی الفقهاء فی ذلک

۸- الاستشفاء بتراب المدینة

۹- التبرّک بآثار النبی صلی الله علیه و آله

۱۰- قبور وجنائز یتبرّک بها

ص: ۴۰

ص: ۴۱

یری ابن تیمیهٔ وأتباعه حرمهٔ التبرّک والتمرّغ بالقبور الشریفهٔ وتقبیلها، وکفّروا المسلمین ورموهم بالشرک وسمّوهم القبوریین وعبّاد القبور، وانّه کفعل الجاهلیهٔ بالأصنام والأوثان و...

والجواب:

أوّلًا: حتی ولو لم ینص الشرع علی جوازه، لکنّه راجح شرعاً لأنه من تعظیم الشعائر. أمّا قبور غیر الأنبیاء فسیأتی البحث عنها، وامّا قبور الأنبیاء فلأن لهم حرمهٔ وشأناً ولا تزول حرمتهم بالموت.

قال الإمام مالک للمنصور: حرمهٔ النبی میّتاً کحرمته حیّاً (۱).

فالنبی صلی الله علیه و آله والصلحاء لا تزول حرمتهم بالموت.

ثانیاً: إذا کان التعظیم یُعَدُّ عبادهٔ وهو حرام واحترام القبور وتقبیلها تُعدُ عبادهٔ وهی شرک لکان تعظیم الکعبهٔ والطواف بها شرکاً

۱- انظر کشف الارتیاب: ۳۴۳.

ص: ۴۲

وکذلک تعظیم الحجر الأسود وتقبیله، والحجر ومقام ابراهیم، والمساجد والمشاعر، وتعظیم الأبوین وخفض جناح الذّل لهما، وسجود الملائکة لآدم وسجود إخوة یوسف وأبویه له، وتعظیم الجنود لُامرائهم، وتعظیم الصحابة للنبی صلی الله علیه و آله والخلفاء للأنبیاء، وتعظیم الوهابیین لُامرائهم.

ثالثاً: إن فعل الصحابة والصلحاء أیضاً یخالف رأی الوهابیة بحرمة مسّ القبر وتقبیله والتمرّغ به والتبرّک بترابه.

۱- تبرّک الزهراء علیها السلام بتراب القبر:

عن علی علیه السلام لما رمس رسول اللّه صلی الله علیه و آله جاءت فاطمة فوقفت علی قبره صلی الله علیه و آله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت علی عینها وبکت وأنشأت تقول:

ماذا علی من شمَّ تربة أحمد أن لا یشُمَّ مدی الزمان غوالیا

صُبَّتْ علیَّ مصائبٌ لو أنّها صُبَّت علی الأیّام صِرنَ لیالیا

(۱) ۲- تبرّک أبو أیوب الأنصاری بقبر النبی صلی الله علیه و آله

عن داود بن أبی صالح، أقبل مروان یوماً فوجد رجلًا واضعاً

۱- إرشاد الساری ۳: ۳۵۲، الاتحاف للشبراوی: ۹۰، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۴، مشارق الأنوار: ۶۳، الفتاوی الفقهیة لابن حجر ۲: ۱۸، السیرة النبویة ۲: ۳۴۰، کشف الارتیاب: ۳۴۷، المواهب اللَّدنیة ۳: ۴۰۰.

ص: ۴۳

وجهه علی القبر فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدری ما تصنع؟

فأقبل علیه، فإذا به أبو أیوب الأنصاری، فقال: نعم انی لم آتِ الحجر إنما جئت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولم آت الحجر. سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: لا تبکوا علی الدین إذا ولیه أهله، ولکن إبکوا علی الدین إذا ولیه غیر أهله» (۱).

أقول: وقد صحّحه الحاکم فی مستدرکه وکذلک الذهبی.

قال السبکی: فإن صح هذا الاسناد لم یکره مس جدار القبر» (۲).

قال الأمینی: إنّ هذا الحدیث یعطینا خبراً بأن المنع من التوسل بالقبور الطاهرة انّما هو من بدع الأمویین (۳).

۳- تبرّک بلال بقبر النبی صلی الله علیه و آله

إن بلالًا رأی النبی صلی الله علیه و آله فی منامه وهو یقول: ما هذه الجفوة یا بلال؟ أما آن لک أن تزورنی؟ فانتبه حزیناً، ورکب راحلته، وقصد المدینة فأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله فجعل یبکی عنده ویُمَرِّغ علیه...» (۴).

۴- تبرک ابن عمر:

عن ابن حملة: إن عبداللَّه بن عمر کان یضع یده الیمنی علی القبر الشریف، وان بلالًا وضع خدّه علیه أیضاً (۵).

۱- مستدرک الحاکم ۴: ۵۶۰ الرقم ۸۵۷۱. وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۴.

۲- انظر وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۴، کشف الارتیاب: ۳۴۷.

۳- الغدیر ۵: ۱۵۱.

۴- سیر أعلام النبلاء ۱: ۳۵۸، اسد الغابة ۱: ۲۰۸، شفاء السقام: ۳۹.

۵- کشف‌الارتیاب: ۴۳۶، عن الخطیب ابن حمله، شرح الشفاء ۲: ۱۹۹، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۵.

ص: ۴۴

۵- تبرّک ابن المنکدر (۱) (التابعی)

کان یجلس مع أصحابه وکان یصیبه الصمات (۲) فکان یقوم کما هو، یضع خدّه علی قبر النبی صلی الله علیه و آله ثم یرجع، فعوتب فی ذلک، فقال: إنّه لیصیبنی خطره، فإذا وجدت ذلک استشفیتُ بقبر النبی صلی الله علیه و آله (۳).

وعن الذهبی: «استعنتُ بقبر النبی» (۴).

رأی فقهاء السنّة فی التبرّک والتمسّح:

۱- فتوی ابن حنبل: قال ابن جماعة الشافعی: «لعبد اللّه بن أحمد ابن حنبل عن أبیه روایة قال عبداللّه: سألت أبی عن الرجل یمسّ منبر رسول اللّه ویتبرّک بمسّه ویقبّله، ویفعل بالقبر مثل ذلک رجاء ثواب اللّه تعالی؟ قال: لابأس به» (۵).

۱- قال الذهبی: الإمام الحافظ القدوة، شیخ الاسلام ولد سنة بضع وثلاثین وحدّث عن النبی صلی الله علیه و آله وعن سلیمان، وأبی رافع و.. روی عنه الصحاح الستة. وثّقه ابن معین وأبو حاتم..، سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۲.

۲- قال ابن منظور: الصمات: اعتقال اللسان أو السکوت الطویل. لسان العرب ۲: ۵۵ مادةصمت.

۳- وفاء الوفاء ۲: ۴۴۴، انظر الغدیر ۵: ۱۵۱.

۴- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳.

والملفت للانتباه والمثیر للأسف هو أنَّ مخرجی کتاب سیر أعلام النبلاء والمعلّقین علیه، تأثّروا بتیار الفکر الوهابی، فتراهم إذا وصلوا إلی هذا النمط من الروایات یسارعون بلا رویة إلی طعنها: إما بضعف السند وإما بالمخالفة لما یتوهمونه أنه العقیدة الإسلامیة، ولیس هو إلّاالفکرة الوهابیة.

۵- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۱۴.

ص: ۴۵

۲- وعن ابن العُلا: ان الامام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبى صلى الله عليه و آله وتقبيل منبره، فقال: لابأس بذلك.

قال: فأريناه ابن تيمية، فصار يتعجّب من ذلك القول، ويقول:

عجبتُ من أحمد، عندى جليل! هذا كلامه!! (۱) ونحن أيضاً نعجب من موقف ابن تيمية تجاه أحمد بن حنبل إذ لم يرمه بالشرك والبدعة والكفر!!

۳- فتوى الرملى الشافعى: «إن كان قبر نبى أو ولى أو عالم واستلمه، أو قبّله بقصد التبرّك فلابأس به» (۲).

۴- وقال أيضاً: «يكره أن يقبّل التابوت الذى يجعل فوقً القبر واستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء.. نعم إن قصد التبرّك لا يكره، كما أفتى به الوالد.. فقد صرّحوا بأنّه إذا عجز عن استلام الحَجر سنَّ له أن يُشِر بعصا وأن يقبّلها» (۳).

۵- فتوى محبّ الدين الطبرى الشافعى:

«يجوز تقبيل القبر ومسّه، وعليه عمل العلماء والصالحين» (۴).

۶- فتوى شهاب الدين الخفاجى الحنفى:

قال فى شرحه على الشفا عند قوله: يكره مسّه وتقبيله، وإلصاق

۱- المصدر السابق.

۲- حكاه الشبراملسى عن الشيخ أبى الضياء المتوفى ۱۰۸۷ فى حاشية المواهب اللدنية، وكنز المطالب للحمزاوى: ۲۱۹.

۳- المصدر السابق.

۴- أسنى المطالب ۱: ۳۳۱، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۷.

ص: ۴۶

الصدر؛ قال: وهذا أمرٌ غير مجمع عليه. ولذا قال أحمد والطبرى:

لابأس بتقبيله والتزامه (۱).

۷- ابن أبى الصيف اليمانى، أحد علماء مكة من الشافعية:

نُقل عنه: «جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين» (۲).

۸- فتوى الزرقانى المالكى: «تقبيل القبر الشريف مكروه إلّا لقصد التبرّك فلا كراهة» (۳).

۹- العزامى الشافعى قال عند قول ابن تيمية: من طاف بقبور الصالحين أو تمسّح بها كان مرتكباً أعظم العظائم.

قال: وأتى بكلام ملتبس فمرّة يجعله من الكبائر، واخرى من الشرك إلى مسائل من أشباه ذلك. قد فرغ العلماء المحقّقون والفقهاء المدققون من بحثها وتدوينها قبل أن يولد هو بقرون فيأبى إلّاأن يخالفهم، وربّما ادّعى الإجماع على ما يقول، وكثيراً ما يكون الاجماع قد انعقد قبله على خلاف قوله كما يعلم ذلك من أمعن فى كلامه وكلام من قبله وكلام من بعده ممّن تعقبه من أهل الفهم المستقيم والنقد السليم. وإليك مثالًا: التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين فأهل العلم فيه على ثلاثة أقوال: الجواز مطلقاً والمنع مطلقاً على وجه كراهة التنزيه الشديدة ولكنها لم تبلغ حدّ التحريم. والتفصيل بين من

۱- شرح الشفا ۳: ۱۷۱- وفاء الوفا ۴: ۱۴۰۴- الغدير ۵: ۱۳۴.

۲- الغدير ۵: ۱۵۳.

۳- شرح المواهب ۸: ۳۱۵.

ص: ۴۷

غلبه شـدّهٔ شوق إلی المزور فتنتفی عنـده هـذه الکراهـهٔ، ومن لاـ فالأـدب ترکه. وأنت إذا تـأمّلت فی الامور التی کفَّر بها المسـلمین.. ترجع إلی مقدّمتین صدقت کبراهما وهی کل عبادهٔ لغیر اللّه شرک... وکذبت صغراهما وهی قوله: کل نداء لمیت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه فهو عبادهٔ لغیر اللّه» (۱).

۱۰- ابن حجر: «استنبط بعضهم من مشروعیهٔ تقبیل الحجر الأسود جواز تقبیل کلّ من یستحق التعظیم من آدمی وغیره...» (۲).

۱۱- الشیخ ابراهیم الباجوری الشافعی: «یکره تقبیل القبر واستلامه إلّاان قصد به التبرّک بهم فلا یکره» (۳).

۱۲- وقال الشـیخ العـدوی الحمزاوی المالکی: «ولا مریـهٔ حینئـذ أنَّ تقبیل القبر الشـریف لم یکن إلّاللتبرّک، فهو أولی من جواز ذلک لقبور الأولیاء عند قصد التبرّک» (۴).

روایهٔ فی تقبیل القبر

روی فی کشف الارتیاب عن کفایهٔ الشعبی وفتاوی الغرائب ومطالب المؤمنین وخزانهٔ الروایهٔ ما هذا لفظه:

«لابأس بتقبیل قبر الوالدین، لأن رجلًا جاء إلی النبی صلی الله علیه و آله فقال:

۱- فرقان القرآن: ۱۳۳، الغدیر ۵: ۱۵۴.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۵.

۳- شرح الفقه الشافعی ۱: ۲۷۶، الغدیر ۵: ۱۵۴.

۴- کنز المطالب: ۲۰، الغدیر ۵: ۱۵۴، مشارق الأنوار ۱: ۱۴۰.

ص: ۴۸

یارسول اللّه إنّی حلفت أن اقبّل عتبـهٔ باب الجنّهٔ وجبهـهٔ حور العین، فأمره أن یقبّل رِجلَ الامّ وجبهـهٔ الأب. قال: یارسول اللّه إن لم یکن أبوای حیین؟ قال: قَبّل قبرهما. قال: فإن لم أعرف قبرهما؟ قال: خطّ خطین انوِ أحدهما قبرَ الامّ. والآخر قبر الأب فقَبلهما فلا تحنث فی یمینک» (۱).

التبرّک بالآثار

إن سیرهٔ المسلمین قدیماً وحدیثاً جاریهٔ علی التبرک بمنبر رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله وموضع‌صلاته وموضع‌قدمه، والتبرّک بمامسّه‌النبی الکریم من الأشیاء، والتبرّک بتراب المدینهٔ، خصوصاًتراب قبرسیّدنا حمزهٔ علیه السلام.

وإلیک بعض النماذج فی ذلک:

أ- التبرّک بالمنبر:

کان لمنبر النبی صلی الله علیه و آله عند المسلمین الحرمهٔ والمکانهٔ بحیث کان بعض الفقهاء یتأبی من الحلف علی المنبر تعظیماً له؛ وانّهم کانوا یتبرّکون به:

۱- البخاری: قضی مروان بالیمین علی زید بن ثابت علی المنبر (۲).

۲- العاقولی: بعد ذکره منبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «إن هذا المنبر

۱- کشف الارتیاب: ۳۵۰.

۲- صحیح البخاری ۳: ۲۴۳.

ص: ۴۹

تهافت علی طول الزمان فجدّده بعض خلفاء بنی العبّاس، واتخذ من بقایا أعواد منبر النبی صلی الله علیه و آله أمشاطاً للتبرّک بها کما أنّهم- أی الصحابهٔ- کانوا یهتمّون بمسّه» (۱).

۳- وفی کتاب الآثار النبویهٔ: «منبره صلی الله علیه و آله کان بمکانه حتی احترق وکان لإحراقه فی سکان المدینهٔ الطیبهٔ وقعٌ ألیمٌ لما فاتَهُم من مسِ رمّانتهِ التی کان یضع یده المبارکهٔ علیها ولمْسِ موضع قدمیه الشریفین» (۲).

۴- عن یزید بن عبداللّه بن قسیط (۳) قال: رأیت ناساً من أصحاب النبی صلی الله علیه و آله إذا خلا المسجد أخذوا برمّانهِٔ المنبر الصلعاء التی تلی القبر بمیامنهم ثُمّ استقبلوا القبلهٔ یدعون» (۴).

۵- ذکر الشیخ أحمد بن عبدالحمید- وهو من أعلام القرن العاشر- تبرّک الناس بأعواد منبر النبی صلی الله علیه و آله (۵).

۶- السمهودی: «إن منبر النبی صلی الله علیه و آله جُعل علیه منبر کالغلاف وجُعِّلَ فی المنبر الأعلی طاق ممّا یلی الروضهٔ، فیُدْخلُ الناس منها أیدیهم، یمسحون منبر النبی صلی الله علیه و آله ویتبرّکون بذلک» (۶).

۱- راجع کتاب التبرّک: ۱۳۹ للعلّامهٔ الأَحمدی.

۲- الآثار النبویهٔ: ۳۱.

۳- قالوا فیه: «هو الإمام الفقیه الثقهٔ، روی عنه اصحاب الصحاح الستهٔ، وانه ثقهٔ فقیه، یستعان‌به فی الأعمال لأمانته وفقهه مات عام ۱۲۲ ه» سیر اعلام النبلاء ۵: ۲۶۶.

۴- الطبقات الکبری ۱: ۱۳، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۱.

۵- عمدهٔ الأخیار: ۱۳۵.

۶- وفاء الوفاء ۲: ۳۹.

ص: ۵۰

فتوى الفقهاء فى ذلك:

۱- روى عن مالك ويحيى بن سعيد الأنصارى، شيخُ مالك، وكذا عن ابن عمر، وابن المسيّب: جواز مسح رمانة المنبر (۱).

۲- واما من طرق أهل البيت عليهم السلام: فعن الامام جعفر الصادق عليه السلام «وإذا فرغتَ من الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه و آله فآتِ المنبر فامسحه بيدك وخذ برمّانتيه، وهما السفلان، وامسح عينيك ووجْهكَ به، فانّه يقال:

إنّه شفاء للعين» (۲).

۴- قال إسحاق بن إبراهيم: «ومما لم يزل شأن مَن حج، المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله والتبرّك برؤية روضتهِ ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه، والعمود الذى كان يستند إليه ونزل جبرئيل عليه. وبمن عمّره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كلّه» (۳).

التبرّك بتراب القبر وتراب المدينة:

قد ثبت أن المسلمين كانوا يتبرّكون بتراب قبر النبى صلى الله عليه و آله وقبر حمزة وبتراب المدينة مطلقاً، كما وردت نصوص فى أن تراب المدينة

۱- الصارم المنكى: ۱۳۲، وفاء الوفا ۴: ۱۴۰۳، انظر ترجمة يحيى فى سير اعلام النبلاء ۵: ۴۶۸.

۲- وسائل الشيعة ۱۰: ۲۷۰، باب ۷ ح ۱.

۳- الصارم المنكى: ۱۴۸.

ص: ۵۱

شِفاء من كل داء، أو من الجذام، أو من الصداع أو غير ذلك. وقد أفتى فقهاء المسلمين بجواز ذلك بل رجحانه:

۱- قال السمهودى: «كانوا- أى الصحابة- وغيرهم يأخذون من تراب قبر النبى صلى الله عليه و آله. فَأَمرت عائشة فضرب بالكوة فَسُدّت» (۱).

وقيل: إن ضربها لأجل انه يوجب نفاد تراب القبر الشريف وخراب القبة الشريفة (۲).

۲- وقال أيضاً: بعد ذكره تبرّك المسلمين بتراب المدينة: إنّهم جرَّبوا تراب قبر صهيب (۳) للحمّى. ثم قال الزركشى: استثنى من عدم جواز حمل تراب المدينة إلى غيرها- لكونها حرماً- تربة حمزة لاطباق الناس على نقلها للتداوى» (۴).

۳- يقول الصنهاجى: سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذى كان الناس يحملونه للتبرّك هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء والصالحين وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة فى القديم من الزمان (۵).

۴- قال ابن فرحون: «والناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيدنا حمزة، ويعملون خرزاً يشبه التسبيح. واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة» (۶).

۱- وفاء الوفاء ۱: ۵۴۴.

۲- المصدر السابق.

۳- بل أرض صُعيب اسم موضع بالمدينة كما يأتى.

۴- وفاء الوفاء ۱: ۶۹.

۵- وفاء الوفاء ۱: ۱۱۶.

۶- وفاء الوفاء ۱: ۱۱۶.

ص: ۵۲

أحاديث فى الاستشفاء بتراب المدينة:

۱- السمهودى: روينا فى كتاب ابن النجار والوفاء لابن الجوزى حديث: غبار المدينة شفاء من الجذام.

۲- وفى جامع الاصول لابن الأثير عن سعد قال: لما رجع رسول اللّه صلى الله عليه و آله من تبوك تلقّاه رجال من المخلَّفين من المؤمنين، فأثاروا غباراً، فخمَّر- أو فغطّى- بعضُ مَنْ كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنفه فأزال رسول اللّه صلى الله عليه و آله اللثام عن وجهه وقال: والذى نفسى بيده إن فى غبارها شفاء من كل داء.

۳- وعن أبى سلمة: بلغنى ان رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: غبار المدينة يطفى الجذام.

قلت: وقد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام وكان قد أضرَّ به كثيراً، فصار يخرج إلى الكومة البيضاء، ببطحان بطريق قباء ويتمرّغ بها ويتخذها منها فى مرقده فنفعه ذلك جدّاً.

۴- روى ابن زبالة ويحيى بن الحسن بن جعفر العلوى وابن النجار كلاهما فى طريقه أن النبى صلى الله عليه و آله أتى بَلحارث، فإذا هم روبى (۱)، فقال: مالكم يابنى الحارث روبى؟ قالوا: أصابتنا يارسول اللّه هذه الحمّى. فقال: فأين أنتم من صُيعيب؟ قالوا: يارسول اللّه ما نصنع به؟

۱- أى الخاثر النفس، الشديد الاعياء، المختلط العقل. انظر القاموس المحيط ۱: ۸۰.

ص: ۵۳

قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه فی ماء، ثم یتفل علیه أحدکم ویقول:

بسم اللّه، تراب أرضنا بریق بعضنا، شفاء لمریضنا، بإذن ربّنا ففعلوا فترکتهم الحمّی.

قال ابن النجار عقبهٔ: قال أبو القاسم بن یحیی العلوی: صعیب:

وادی بطحان دون الماجشونیهٔ، وفیه حفرهٔ مما یأخذ الناس منه، وهو الیوم إذا وَبَأ إنسان أخذ منه.

وقال ابن النجار: وقد رأیتُ أنا هذه الحفرهٔ الیوم، والناس یأخذون منها، وذکروا انهم جربوه فوجدوه صحیحاً.

قال: وأخذت أنا منه أیضاً.

قلت: وهذه الحفرهٔ موجودهٔ الیوم مشهورهٔ خَلفاً عن سلف یأخذ الناس منها وینقلونه للتداوی وقد بعثتُ منها لبعض الأصحاب، اخذاً ممّا ذکروه فی أخذ نبات الحرم للتداوی.

ثم قال السمهودی بعد کلام الزرکشی: ینبغی أن یستثنی من منع نقل تراب الحرم تربهٔ حمزهٔ رضی الله عنه، لاطباق السلف والخلف علی نقلها للتداوی من الصداع.

فقلت: عند الوقوف- علی کلام الزرکشی- أین هو من تراب صعیب (۱)».

التبرّک بالنقود والذهب الذی مسّهُ النبی صلی الله علیه و آله

۱- عن جابر بن عبداللّه قال: کنتُ مع النبی صلی الله علیه و آله... وکنت علی جملٍ فاعتلَّ، قال فلحقنی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وأنا فی آخر الناس فقال: ما

۱- وفاء الوفاء ۱: ۶۹.

ص: ۵۴

لکَ یاجابر؟ قلت: إعتلَّ بعیری، قال: فأخذ بذنبه ثم زجره، قال: فما زلت إنّما أنا فی أوّل الناس.. فلما دنونا من المدینهٔ قال لی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ما فعل الجمل؟ قلت: هوذا قال: فبعنیه قلت: لا بل هو لکَ،.. قال: لا قد أخذته بأُوقیهٔ، إرکبه فإذا قدمتَ فائتنا به، قال: فلما قدمتُ المدینهٔ جئتُ به فقال: یابلال زن له وقیهٔ وزده قیراطاً، قال: قلت هذا قیراط زادنیه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لا یفارقنی أبداً حتی أموت. قال: فجعلتُهُ فی کیس فلم یزل عندی حتی جاء أهل الشام یوم الحرَّهٔ، فأخذوه فیما أخذوا (۱).

فهما هو جابر بن عبداللَّه الأنصاری الصحابی یتبرّک ویحتفظ- وفی حیاهٔ النبی- بقیراطٍ زاده النبی صلی الله علیه و آله ویؤکّد علی اصطحابه إلی أن یموت.

۲- عن بعض النساء اللاتی خرجن مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إلی خیبر وأعطاهن النبی سهماً من الغنائم قالت: أتیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی نسوهٔ فقلت یا رسول اللَّه قد أردنا الخروج معک نعین المسلمین ما استطعنا.

فقال: علی برکهٔ اللَّه، قالت: فخرجنا معه، فلما افتتح خیبر ورضخ (۲) لنا وأخذ هذه القلادهٔ ووضعها فی عنقی، فواللَّه لا تفارقنی أبداً، وأوصت أنها تدفن معها» (۳).

فهذه الصحابیهٔ تتبرّک بقلادهٔ مستها ید رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وتفتخر بها وتوصی أن تدفن معها. ولم ینکر علیها أحد، ولا رماها بالبدعهٔ

۱- مسند أحمد ۳: ۳۱۴، سنن النسائی ۷: ۲۹۸.

۲- الرَّضخ: العطاء الیسیر، مجمع البحرین ۲: ۴۳۲ مادهٔ «رضَخَ».

۳- السیرهٔ الحلبیهٔ ۲: ۷۷۰.

ص: ۵۵

والشرک والکفر.

التبرّک بآثار النبی صلی الله علیه و آله

۱- عن أنس بن مالک قال: «رأیت رسول اللّه صلی الله علیه و آله والحلّاق یحلقه وأطاف به أصحابه، فما یریدون أن تقع شعرة إلّافی ید رَجُلٍ» (۱).

۲- وعن محمد بن سیرین، قلت لعبید: عندنا من شعر النبی صلی الله علیه و آله أصبناه من قِبل أنس، قال: لأن یکون عندی شعرة منه أحبَّ إلیَّ من الدنیا وما فیها» (۲).

۳- وعن کبشة قالت: دخل علیَّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله فَشَرِب من فی قربةٍ معلّقةٍ قائماً فقمتُ إلی فیها فقطعتُهُ (۳).

وعن ابن ماجة زیادة: تبتغی برکة موضع فی (ای فم) رسول اللّه صلی الله علیه و آله (۴).

ثم ان الترمذی حسَّن الحدیث وصحّحه (۵).

۴- ان سهل بن سعد یحدِّث من حوله: أن النبی صلی الله علیه و آله حینما جلس هو وأصحابه فی سقیفة بنی ساعدة، وطلب من سهل أن یسقیه ماءاً،

۱- جامع الاصول ۴: ۱۰۲.

۲- المصدر نفسه.

۳- الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۳۰۶ الرقم ۱۴۹۲.

۴- سنن ابن ماجة ۲: ۱۱۳۲ الرقم ۳۴۲۳.

۵- الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۳۰۶.

ص: ۵۶

یقول: فأخرجتُ لهم هذا القدح فأسقیتُهم فیه، فأخرج- یقول الراوی- لنا سهل ذلک القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزیز بعد ذلک، فوهبه له.

قال البخاری: رأیت هذا القدح بالبصرة وشربتُ منه، وکان اشتری من میراث النضر بن أنس، بثمانمائة ألف (۱).

تبرّک الفاکهانی بنعلٍ منسوب إلی النبی صلی الله علیه و آله

وعن جمال الدین عبداللّه بن محمّد الأنصاری (۲) المحدّث قال:

رحلنا مع شیخنا تاج الدین الفاکهانی (۳) إلی دمشق فقصد زیارة نعل سیّدنا رسول اللّه صلی الله علیه و آله التی بدار الحدیث الأشرفیه بدمشق وکنت معه فلمّا رأی النعل المکرّمة حسر عن رأسه وجعل یقبّله ویمرّغ وجهه علیه ودموعه تسیل وأنشد:

فلو قیل للمجنون: لیلی ووصلها تزید أم الدنیا وما فی طوایاها

لقال: غبارٌ من تراب نعالها أحبُّ إلی نفسی وأشفی لبلواها

(۴)

۱- فتح الباری: ۱۰۱- ۱۰۳.

۲- لاحظ ترجمته فی معجم المؤلفین ۶: ۱۱۵.

۳- قالوا فیه: «فقیه مشارک فی الحدیث والاصول والعربیة توفی عام ۷۳۱ ه. ومن تصانیفه‌التحفة المختارة فی الرّد علی منکر الزیارة» معجم المؤلفین ۷: ۲۹۹.

۴- الدیباج المذهب: ۱۸۷، الغدیر ۵: ۱۵۵.

ص: ۵۷

۵- سیرة ابن عمر:

عن نافع: لو نظرت إلی ابن عمر، إذا اتّبع رسول اللّه لقلت هذا مجنون (۱).

وقال أیضاً: إن ابن عمر کان یتّبع آثار رسول اللّه صلی الله علیه و آله کلَّ مکان صلّی فیه، حتی أنّ النبی صلی الله علیه و آله نزل تحت شجرة فکان ابن عمر یتعاهد تلک الشجرة، فیصبّ فی أصلها الماء، لکیلا تیبس (۲).

وعن مالک: إن ابن عمر کان یتبع أمر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وآثاره وحاله، ویهتمّ به حتی کان قد خیف علی عقله من اهتمامه بذلک (۳).

عن نافع عن ابن عمر: انّه کان فی طریق مکة یقول برأس راحلته یثنیها ویقول: لعلَّ خُفاً یقع علی خفٍ، یعنی راحلة النبی صلی الله علیه و آله (۴).

کان ابن عمر یتبرّک بمقعد النبی صلی الله علیه و آله من منبره (۵).

عن إبراهیم بن عبدالرحمن بن عبد القاری انّه نظر إلی ابن عمر وهو یضع یده علی مقعد النبی صلی الله علیه و آله من المنبر ثم یضعها علی وجهه (۶).

۶- سیرة محمد بن المنکدر:

۱- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳، حلیة الاولیاء ۱: ۳۱۰.

۲- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳، أسد الغابة ۳: ۳۴۱.

۳- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳.

۴- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۳۷، حلیة الأولیاء ۱: ۳۱۰.

۵- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۶.

۶- المغنی لابن قدامة ۳: ۵۵۹.

ص: ۵۸

وکان محمد بن المنکدر (۱) یأتی موضعاً من المسجد فی الصحن فیتمرّغ فیه ویضطجع فقیل له فی ذلک، فقال: إنی رأیت النبی صلی الله علیه و آله فی هذا الموضع (۲).

۷- سیرة المأمون:

قال المأمون لیحیی بن أکثم إن الرجل لیأتینی بالقطعة من العود أو بالخشبة، أو بالشیء الذی لعل قیمته لا تکون إلّادرهماً أو نحوه، فیقول: إنَّ هذا کان للنبی صلی الله علیه و آله أو قد وَضَع یده علیه أو مسّه، وما هو عندی بثقة ولا دلیل علی صدق الرجل، إلّاأنی بفرط النیة والمحبة، أقبل ذلک، فاشتریه بألف دینار وأقل وأکثر، ثمَ أضَعَهُ علی وجهی وعینی، وأتبرّک بالنظر إلیه وبمسّه فأستشفی به عند المرض یصیبنی أو یصیب من أهتمّ به فأصونه کصیانتی لنفسی وإنما هو عودٌ لم یفعل هو شیئاً ولا فضیلة له، تستوجب به المحبة إلّاما ذکر من مسِّ رسول اللّه» (۳).

أقول: ویحیی بن أکثم هذا هو من أئمة السنة وعلماء الناس کما عن ابن کثیر (۴). وهو قاضی القضاة والفقیه العلامة ومن أئمة الاجتهاد کما

۱- وثّقه ابن معین وابو حاتم، وروی له الستة فی صحاحهم وقالوا فیه انه الحافظ الامام، وانه من معادن الصدق ویجتمع إلیه الصالحون، سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۸.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۶، سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۹.

ثم ان رؤیته للنبی کان فی المنام لا فی الیقظة، وذلک لأنه تابعی وولادته عام بضع وثلاثین للهجرة.

۳- تاریخ بغداد لطیفور: ۴۵.

۴- البدایة والنهایة ۱۰: ۳۱۶، هذا من باب المماشاة، وإلّا فابن أکثم معروف بعبثه بالمُردُ انظر: سیر أعلام النبلاء ۱۲: ۱۰.

ص: ۵۹

عن الذهبی (۱).

والمأمون هـذا الـذی یقال عنه: کان أمّاراً بالعدل محمود السیرۀ، میمون النقیبۀ فقیه النفس، یُعدّ من کبار العلماء! تراه یتبرّک بالأشـیاء المنسوبـۀ إلی النبی صـلی الله علیه و آله، ویری التبرّک أمراً مشـروعاً وجوازه مفروغاً عنه، ویـذکر هـذا الأمر عنـد یحیی الـذی هو من فقهاء العصر، ولا یرده بل یقرره علی الجواز.

التبرک بحجرٍ من بیت فاطمۀ علیها السلام:

عن یحیی بن عباد: أنه روی ان بیت فاطمۀ الزهراء علیها السلام لما أخرجوا منه فاطمۀ بنت الحسین وزوجها الحسن بن الحسن وهدّموا البیت، بعث حسنُ ابنه جعفراً وکان أسنَ ولـده وقال: انظر الحجر الـذی من صـفته کـذا وکذا. هل یُدخلونه فی بنیانهم؟ فرصدهم حتی رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر، فأخبر أباه، فخرَّ ساجداً وقال: ذلک حجرٌ کان رسول اللّه صـلی الله علیه و آله یصلّی إلیه إذا دخل إلی فاطمـۀ، أو کانت فاطمـۀ تصـلّی إلیه- الشک من یحیی- وقال علی بن موسـی الرضا علیه السـلام، ولـدت فاطمۀ علیها السـلام الحسـن والحسین علیهما السلام علی ذلک الحجر.

قال یحیی: ورأیت الحسـین بن عبداللّه بن عبداللّه بن الحسـین، ولم أرَ فینا رجلًا أفضل منه، إذا اشـتکی شیئاً من جسده کشف الحصی عن

۱- سـیر أعلام النبلاء ۱۰: ۲۷۹، ولاـ منافاۀ عنـد البعض بین کونه أماراً بالعـدل وشـربه الخمر ۱۰: ۲۷۶، وان حاول المعلق الـدفاع عنه کعادته فی هذه التعالیق.

ص: ۶۰

الحجر فيتمسّح (۱) به».

أقول: فإذا كانت هذه حرمة حجر نال البركة بولادة فاطمة عليها السلام ولديها الحسنين عليهما السلام؛ وبصلاتها أو صلاة أبيها صلى الله عليه و آله إليه. فكيف بتربة ضمَّت جسد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ ألا يحق التبرّك بها وطلب الحاجة إلى اللَّه عند تلك التربة وذلك القبر؟

التبرک بحجرٍ من المروة:

عن رزين مولى على بن عبداللَّه بن عباس ان علياً كتب إليه أن يبعث إليه بقطعة من المروة فيتخذه مصلّى يسجد عليه (۲).

قبور وجنائز يتبرّک بها

۱- قبر سعد بن معاذ: إن أَحَداً أخذ من تراب سعد، فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هى مسك (۳).

۲- قبر عبداللَّه الحدانى: المقتول سنة ۱۸۳ ه قُتل يوم التروية كان الناس يأخذون من تراب قبره كأنّه مسك يُصيّرونه فى ثيابهم (۴).

۳- قبر معروف الكرخى: قال ابن الجوزى: قبره ظاهر يتبرّك به فى بغداد. وكان إبراهيم الحربى يقول: قبرُ معروف: الترياق المجرّب (۵).

۱- كشف الارتياب: ۳۵۲، وفاء الوفاء.

۲- وفاء الوفاء ۱: ۱۱۵.

۳- الطبقات الكبرى ۳: ۱۰، سير أعلام النبلاء ۱: ۲۸۹. وهو السيد الكبير، أبو عمرو الأنصارى الذى قيل اهتز العرش لموته. انظر سير أعلام النبلاء ۱: ۲۷۹، وعندنا أيضاً: انّه صحابى جليل، انظر: معجم‌رجال‌الحديث ۸: ۹۱ وتنقيح‌المقال ۲: ۲۱، مستدركات علم الرجال ۴: ۴۳.

۴- حلية الأولياء ۲: ۲۵۸، تهذيب التهذيب ۵: ۳۱۰.

۵- صفة الصفوة ۲: ۳۲۴.

ص: ۶۱

۴- قبر أحمد بن حنبل: إمام الحنابلة المتوفى ۲۴۱ ه. قبره ظاهر مشهور يزار ويتبرّک به (۱).

۵- قبر الخضر بن نصر الأربلى الفقيه الشافعى المتوفى ۵۶۷ ه نقل ابن كثير عن ابن خلكان: «قبره يزار وقد زرته غير مرّة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبرّكون به» (۲).

والحاصل انّا طالما نرى الصحابة والتابعين والمحدّثين يتبرّكون بآثار رسول اللّه صلى الله عليه و آله، هذا يتبرّک بشعرة من شعراته صلى الله عليه و آله وذلک يتبرّک ب «فم قربةٍ» شَرِب منها، وثالث يتبرّک بنعله صلى الله عليه و آله ورابع يتبرّک بموضع خف بعير رسول اللّه صلى الله عليه و آله وخامس يتبرّک بالعود، أو الخشبة التى كانت لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، وسادس يتبرّک بتراب قبره صلى الله عليه و آله وهلّم جراً. وليسوا أفراداً عاديين، فمنهم الصحابة ومنهم التابعون، ومنهم أئمّة الحديث وأصحاب الصحاح والسنن أو مشايخهم والفقهاء.

وبعد هذا كلّه فما بالُ ابن تيمية وأنصاره يكفِّرون من تبرّک بالقبور أو بخصوص قبر النبى صلى الله عليه و آله، فهل يلتزم- ابن تيمية- بلوازم كلامه: من تكفير الصحابة والتابعين وأصحاب الصحاح، والفقهاء خلفاً عن سلف!!؟

۶- قبر نور الدين محمود بن زنكى المتوفى ۵۶۹:-

قال ابن كثير: قبره بدمشق يزار ويحلّق بشبّاكه ويطيّب ويتبرّک

۱- مختصر طبقات الحنابلة: ۱۴.

۲- البداية والنهاية ۱۲: ۳۵۳، انظر الغدير ۵: ۲۰۳.

ص: ۶۲

به کلُّ مار (۱).

۷- اتباع ابن تیمیهٔ یتبرّکون بجنازته:

لقد تبرَّک أتباعه بجنازته وماء غسله ممّا یثیر السؤال: هل أن اتباعه کانوا مشرکین وأهل بدعهٔ، طالما یری التبرّک شرکاً وبدعهٔ، إذ تمسَّحوا بالجنازهٔ؟! هل شیّعه المشرکون ولم یحضر جنازته مسلم!؟ أو أن جواز التبرّک والتمسّح، أمرٌ ارتکازی لدی المسلمین، وأن الفتوی بحرمته، یُعدُّ فتوی علی خلاف المرتکز وقولًا بغیر ما أنزل اللّه؟

«کان تشییعه حافلًا حتی ضاقت الطریق لجنازته وانتهی إلیها الناس من کل فجٍّ عمیق واشتد الزحام وألقوا علی نعشه منادیلهم وعمائمهم للتبرّک، وکسرت أعواد سریره لکثرهٔ تعلّق الناس به وشربوا ماء غُسله للتیمن.. واشتروا ما زاد من سدره وقسّموه بینهم.

ویقال:

إن الخیط الذی کان علیه الزیبق وعلّق علی جسده لدفع القمل، اشتروه بمائهٔ وخمسین درهماً» (۲).

تبرّک الناس بتراب قبر البخاری:

کتب السُبکی عن وفاهٔ البخاری ودفنه:

«واما التراب، فانّهم کانوا یرفعون عن القبر، حتّی ظهر القبر، ولم

۱- البدایهٔ والنهایهٔ ۱۲: ۳۵۳، انظر الغدیر ۵: ۲۰۳، هو السلطان صاحب بلاد الشام، قالوا عنه: کان مجاهداً فی الفرنج آمراً بالمعروف، ولیست الدنیا عنده بشیء، استرجع من أیدی الکفّار نیفاً وخمسین مدینهٔ.. البدایهٔ والنهایهٔ ۱۲: ۳۰۶.

۲- انظر البدایهٔ والنهایهٔ ۱۴: ۱۳۶، الکنی والألقاب ۱: ۲۳۷.

ص: ۶۳

یکن یُقدَر علی حفظ القبر بالحراس، وغلبنا علی أنفسنا فنصبنا علی القبر خشباً مُشَّبکاً، لم یکن أحدٌ یقدر علی الوصول إلی القبر» (۱).

فهل کان أهل سمرقند عام ۲۵۶ ه کفّاراً ومشرکین، إذ کانوا یتبرّکون بتراب قبر محمد بن إسماعیل البخاری؟!

وهل جهّزه وکفّنه وشیّعه ودفنه الکفّار؟

ما هذه الجرأة فی التهجّم علی المسلمین؟ أین التقوی والعفّة فی الکلام؟ وأین هذه الأفکار والمزاعم من الإسلام والسنّة النبویة.

دعنا نکتف بهذا المقدار من النصوص التاریخیة الدالة علی أن التبرّک بقبور المسلمین وآثارهم کان من الامور الرائجة والمتعارف علیها فی المجتمع الإسلامی من عهد النبی صلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا ولم یفت فقیه بحرمة ذلک، بل صرّحوا بجوازه ورجحانه، واستحبابه.

۱- طبقات الشافعیة ۲: ۲۳۳، سیر أعلام النبلاء ۱۲: ۴۶۷.

ص: ۶۴

ص: ۶۵

الفصل الثالث: الاستغاثة وطلب الحوائج

اشارة

الاستغاثة

وطلب الحوائج

۱- رأى الوهابية

۲- مناقشة الفكرة

۳- الاستغاثة بالنبى

۴- الاستغاثة بالأنبياء استغاثة بالأحياء

۵- عثمان يأمر بالاستغاثة بقبر النبى صلى الله عليه و آله

۶- الاستغاثة بالقبور

۷- نماذج ممن استغاث بالقبور

ص: ۶۶

صفحه سفید

ص: ۶۷

قال ابن تيميـة: «إن قول أدركنى أو أغثنى أو أشـفع لى أو انصـرنى على عـدوّى ونحو ذلك ممّا لا يقـدر عليه إلّااللّه إذا طلب فى أيّام البرزخ كان من أقسام الشرك» (۱).

وقال فى رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور:

«من يأتى إلى قبر نبى أو صالح ويسأله حاجته ويستنجده مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو يقضـى دينه، أو نحو ذلك ممّا لا يقدر عليه إلّا اللّه فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلّا قُتِل».

وقـال: «قول كثير من الضـلّال: هـذا أقرب إلى اللّه منّى. وأنـا بعيـد من اللّه لايمكننى أن أدعوه إلّابهـذه الواسـطة ونحو ذلك من أقوال المشركين» (۲).

۱- الهدية السنية: ۴۰.

۲- انظر كشف الارتياب: ۲۱۴.

ص: ۶۸

وقال محمد بن عبد الوهاب: «إنَّ دعاء غير اللَّه والاستغاثة بغير اللَّه موجب للارتداد عن الدين والدخول فى عداد المشركين وعبدة الأصنام واستحلال المال والدم إلّامع التوبة...» (۱).

والجواب:-

إن الدعاء والاستغاثة بغير اللَّه يكون على وجوه ثلاثة:

۱- أن يهتف بإسمه مجرّداً مثل أن يقول: يا محمد، يا عبدالقادر، ياأهل البيت.

۲- أن يقول: يافلان كن شفيعى، أو ادع اللَّه أن يقضى حاجتى.

۳- أن يقول: اقض دينى، إشفِ مريضى، يامحمد أغننى من فضلك.

ولا مانع فى هذه الوجوه، فضلًا عن أنها ليست شركاً باللَّه، لأن المسلم الموحِّد يعتقد بأن سوى اللَّه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً بالاستقلالية، وإذا رجا من أحدٍ نفعاً أو كشفاً لضرٍّ فيما منحه اللَّه تعالى من ذلك، وبلا إنفكاك عن مشيئة اللَّه، فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن.. فهو لا يقصد من التوجّه إلى من ارتضاه اللَّه واجتباه وفضّله على خلقه إلّاالشفاعة فى قضاء الحاجة والدعاء لتيسير وتعجيل وتحقيق قضائها. فلابد من حمل فعله على الصحيح، وعدم التهجّم على الدماء والأموال والأعراض بغير يقين.

وعليه فلو قال: يامحمد: ادع اللَّه أن يقضى حاجتى، يكون

۱- انظر كشف الارتياب: ۲۱۴.

ص: ۶۹

المقصود هو اللّه تعالى.

وامّا لو قال: يامحمد اقض حاجتى: فمن باب إسناد الفعل إلى السبب مثل: انبت الربيع البقل.

وفيما يلى تذكرة ببعض الآيات التى ظاهرها صدور الفعل من العبد:

۱- وما نقموا إلّاأن أغناهم اللّه ورسوله (۱).

۲- وارزقوهم فيها واكسوهم (۲).

۳- ولو أنّهم رضوا ما آتاهم اللّه ورسوله وقالوا حسبنا اللّه سيؤتينا اللّه من فضله ورسوله (۳).

فالإغْناءُ لا يكون إلّامن اللّه فكيف جُعِل الرسول صلى الله عليه و آله (۴) شريكاً فى الرزق؟ والوهابية جعلت قول: ارزقنى شركاً وكفراً.

۴- أضف إلى ذلك أن اللّه تعالى نسب إلى عيسى الخلق وإبراء الأكمه والأبرص.

۱- التوبة: ۷۴.

۲- النساء: ۵.

۳- التوبة: ۵۹.

۴- عن الصادق عليه السلام: أنّ أبا حنيفة أكل معه، فلمّا رفع الصادق عليه السلام يده من أكله، قال: الحمد للّه‌ربّ العالمين. اللهم هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه و آله فقال أبو حنيفة: يا أبا عبداللّه! أجعلت مع اللّه شريكاً؟ فقال له: ويلك، إنَّ اللّه يقول فى كتابه: وما نقموا إلّاأن أغناهم اللّه ورسوله من فضله «التوبة: ۷۵» ويقول فى موضع آخر: ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللّه ورسوله وقالوا حسبنا اللّه سيؤتينا اللّه من فضله ورسوله «التوبة: ۵۹» فقال أبو حنيفة: واللّه لكأنّى ما قرأتها قط، كنز الفوائد: ۱۹۶- عنه الوسائل ۲۴: ۳۵۱، والبحار ۴۷: ۲۴۰.

ص: ۷۰

إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللَّه (۱). فكيف لايكون هذا شركاً وكفراً، ويكون نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق إلى النبى، أو الولى بإذن اللَّه شركاً؟!

كلام السمهودى الشافعى:

«قد يكون التوسل به صلى الله عليه و آله بطلب ذلك الأمر منه بمعنى أنه صلى الله عليه و آله قادر على التسبيب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة.

ومنه قول القائل له: أسألك مرافقتك فى الجنة، ولا يقصد به إلّا كونه صلى الله عليه و آله سبباً وشافعاً (۲).

أقول: إن المرافقة فى الجنّة لايقدر عليها غير اللَّه، مثل غفران الذنب وشفاء المريض.

نعم لو قصد بهذا الدعاء الاستقلال فى التأثير، فهذا ما لم يقصده أحدٌ من المسلمين.

إذن فالاستغاثة والاستعانة ترجع إلى طلب الشفاعة والدعاء.

ولا مانع منه عقلًا ونقلًا.

والوهابية قد اعترفت بجواز الدعاء من الحى.

۱- آل عمران: ۴۹.

۲- وفاء الوفاء ۲: ۴۲۱.

ص: ٧١

قـال ابن تيميـة: ثبت عنه صـلى الله عليه و آله ما من رجل يـدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلّاوكّل اللّه بها ملكاً كلّما دعا لأخيه دعوة، قال الملك ولك مثل ذلك (١).

ومن المشروع فى الدعاء إجابة غائب لغائب، ولهذا أمر صلى الله عليه و آله بالصلاة عليه، وطلب الوسيلة له.

ففى الحـديث: إذا سـمعتم المـؤذّن، فقولوا مثلمـا يقول، ثم صـلّوا علىَّ فـإنَّ من صـلّى علىَّ مرّة صـلّى اللّه عليه عشـراً ثم اسـألوا اللّه لى الوسـيلة، فانّها درجـة فى الجنـة لاينبغى أن تكون إلّالعبـد من عباد اللّه وأرجو أن أكون ذلك العبـد فمن سأل اللّه لى الوسـيلة حلّت له شفاعتى يوم القيامة (٢).

كما يشـرع طلب الدعاء ممّن هو فوقه ودونه، فقد ثبت فى الصحيح: انّه صلى الله عليه و آله ذكر اويس القرنى وقال لعمر: إن استطعت أن يستغفر لك فافعل (٣).

وفى الحديث: إن الناس لما أجدبوا سألوا النبى أن يستسقى لهم فدعا اللّه لهم فَسُقوا (۴).

اذن: عرفنا ان الاستغاثة هى طلب الدعاء من المستغاث به ولا مانع منه سواء كان دونه أو مساوياً له.

١- رسالة زيارة القبور: ١٥٥.

٢- كشف الارتياب: ٢٢٣.

٣- المصدر السابق.

۴- مسند أحمد ٣: ٢٤٥ و ٢۶١ و ٣٨١.

ص: ٧٢

الاستغاثة بالميّت:

اما طلب الدعاء من الميّت، فلم يجوّزه الوهابيون واستدلّوا على ذلك بالآية الكريمة: فلا تدعوا مع اللّه أحداً (١).

والجواب عن ذلك: ان للدعاء معنىً لغوياً ومعنى اصطلاحياً.

امّا اللغوى:

١- الدعاء فى اللغة: هو النداء: مثل قوله تعالى:

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً (٢).

٢- ويطلق الدعاء على سؤال اللّه تعالى وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه.

وهذا الاطلاق إمّا لأنّه أحدُ أفراد المعنى اللغوى، أو لصيرورته حقيقة عرفية فى ذلك، أو مجازاً مشهوراً. والدعاء بهذا المعنى يسمّى عبادة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين (٣).

ثم إن مطلق الدعاء، ونداء الغير وطلب الحاجة من غير اللّه لايكون عبادة ولا ممنوعاً، فمن دعا رجلًا ليأتى إليه، أو ليعينه وينصره، أو لينا وله شيئاً، أو يقضى له حاجة لم يكن عابداً له ولا آثماً.

١- الجن: ١٨.

٢- النور: ٦٣.

٣- سورة غافر: ٦٠.

ص: ۷۳

المعنى الاصطلاحى:

۱- قد يراد به الدعاء الخاص وهو الدعاء المساوى لدعاء اللَّه باعتقاد أنّ المدعو قادرٌ مختار مستقل عن اللَّه فى ذلك، كما كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك فى بِيَعها وكنائسها.

۲- وقد يراد به دعاء من نهى اللَّه عن دعائه من الأصنام والأوثان التى هى أحجار وأشجار، كما فى دعاء المشركين.

۳- وقد يراد دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون ان لهم تأثيراً فى الكون مع اللَّه بأنفسهم.

وعلى هذا المعنى يدل قوله تعالى:

ان الذين تدعون من دون اللَّه عبادٌ أمثالكم (۱) و والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (۲).

وقوله تعالى: فلا تدعوا مع اللَّه أحداً (۳).

والحاصل: إن دعا نبيّاً واستغاث به فذلك لا يدخل فى الدعاء المنهى عنه. وذلك لأن هذا الدعاء ليس معناه هذه الصور الثلاث- الأخيرة- بل معناه: الطلب من النبى أن يدعو اللَّه أو يشفع له عنده، مع اعتقاد أنّ الأمر للَّهإن شاء قَبله، وإن شاء ردّه.

ولايكون هذا من الدعاء المنهى عنه بعدما عرفت بأنه ليس كل دعاء منهياً عنه، بل دعاء الغير باعتقاد استقلالية المخلوق فى التأثير هو

۱- الأعراف: ۱۹۴.

۲- الأعراف: ۱۹۷.

۳- الجن: ۱۸.

ص: ۷۴

المنهی عنه.

الاستغاثة بالأنبياء إستغاثة بالأحياء

قد يقال: إن التوسل بالأنبياء والصالحين لا معنى له، لأنهم أموات، والميّت لايسمع فلا معنى لأن يقال: يارسول اللّه أغثنى، أو أتوجّه بك إلى اللّه ليقضى لى حاجتى.

والجواب: لقد تعرّضنا فى بحث الشفاعة لهذه المسألة بالتفصيل وأثبتنا حياة الأنبياء- بعد الموت- فنعيد هنا باختصار نقول أنه: «لا مانع شرعاً ولا- عقلًا من أن يسمع النبى أو الولى كلام من يتوسل به وهو فى القبر، امّا النبى صلى الله عليه و آله فلأنه حىّ أحياه اللّه بعد موته كما ثبت من حديث أنس عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنه قال: الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلّون (۱).

ولأنه ثبت حديث: ما من رجل مسلم يمرُّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلِّم عليه إلّاعرفه وردّ عليه السلام (۲).

وقال البيهقى: «وفى حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة،

۱- صححه البيهقى فى جزء حياة الأنبياء وأورده الحافظ ابن حجر على انه ثابت فى فتح البارى، وذلك لما التزمه أنّ ما يذكره من الأحاديث شرحاً أو تتمّة لحديثٍ فى متن البخارى فهو صحيح أو حسن. انظر المقالات السنية: ۱۱۴.

۲- رواه المناوى فى شرح الجامع الصغير، عن ابن عساكر، وأفاد الحافظ العراقى بأن ابن عبدالبر خرّجه فى التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح من حديث ابن عبّاس وقد صحّحه أيضاً عبدالحق. انظر المقالات السنية: ۱۱۴.

ص: ۷۵

أنّه صلى الله عليه و آله لقيهم ببيت المقدس فحضرت الصلاة فَأمّهم نبيّنا صلى الله عليه و آله ثم اجتمعوا فى بيت المقدس.

وفى حديث أبى ذر ومالك بن صعصعة فى قصة الاسراء انّه لقيهم بالسماوات. وطرق ذلك صحيحة، فيحمل على انه رأى موسى قائماً يصلّى فى قبره، ثم عرج به هو ومن ذكر من الأنبياء إلى السماوات فلقيهم النبى صلى الله عليه و آله ثم اجتمعوا فى بيت المقدس فحضرت الصلاة فأمّهم نبينا. قال: وصلاتهم فى أوقات مختلفة وفى أماكن مختلفة لا يرده العقل، وقد ثبت به النقل فدلّ ذلك على حياتهم» (۱).

إذن: ثبت انّهم أحياء ويسمعون من يسلّم عليهم «من صلّى علىَّ عندَ قبرى سمعتهُ» ومعروضة عليهم صلاة من يصلّى عليهم: «اكثروا على من الصلاة فى يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علىّ». ولا مانع (۲) من الاستغاثة بالحى وطلب الاستغفار منه.. يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا (۳) اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأتِ بصيراً (۴).

قال القسطلانى: «ينبغى للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه و آله فجدير بمن استشفع به أن يشفعه اللَّه تعالى فيه... ثم إن كلًا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه

۱- انظر المقالات السنية فى كشف ضلالات ابن تيمية: ۱۱۴.

۲- عن عبادة بن صامت: قال أبو بكر قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه من هذا المنافق فقالرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لايقام لى انّما يقام للَّه‌تبارك وتعالى. مسند أحمد ۵: ۳۱۷

۳- يوسف: ۹۷.

۴- يوسف: ۹۲.

ص: ۷۶

بالنبى- كما ذكره فى تحقيق النصرة ومصباح الظلام- واقع فى كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، فى مدة حياته فى الدنيا وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث...» (۱).

استغاثة الضرير بقبر النبى صلى الله عليه و آله بأمر من عثمان بن حنيف

وممّا يدل بوضوح على ان مسألة الاستغاثة بقبر النبى صلى الله عليه و آله كان أمراً دارجاً بين المسلمين بمن فيهم الصحابة؛ قصة عثمان بن حُنيف، التى أوردها الطبرانى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكى ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين ثم قل: اللهمّ انّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد نبى الرحمة، يامحمّد إنى أتوجّه بك إلى ربّى فتقضى لى حاجتى، وتذكر حاجتك ورُح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفّان، فجاء البوّاب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له. ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال: ما كانت لك من حاجة، فاذكرها، ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك اللّه خيراً، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت

۱- المواهب اللدنية ۳: ۴۱۷.

ص: ٧٧

إليَّ حتى كلَّمتَهُ فيّ. فقال عثمان بن حنيف: واللَّه ما كلّمتُه ولكن شهدتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأتاه ضرير (١)، فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبى فتصبر» فقال: يارسول اللَّه ليس لى قائد وقد شق علىّ، فقال النبى صلى الله عليه و آله ائتِ الميضاة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم ادعُ بهذه الدعوات» قال ابن حنيف: فواللَّه ما تفرّقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرّ قط (٢).

ان المعلق السلفى بعد ان يعترف بصحّة هذا الحديث ويقول:

«لاشك فى صحّة الحديث المرفوع» ولكنه يشككك فى الاستدلال بها على التوسل، فالمعلق متأثر بأفكار ا لألبانى صاحب رسالة «التوسل» وافكار الوهابية ومزاعمهم من حرمة التوسل بالميت وانه شرك. فإذا واجه هكذا روايات وأحاديث، فإنّه لا يطيق تحمّلها ويصعب عليه قبولها، وإن صرّح أهل الفن كالطبرانى بصحّة الحديث وإن كان الآمر بالتوسل صحابى جليل، اعتمد عليه علىّ عليه السلام وعمر (٣). وروى له الترمذى والنسائى وابن ماجه.

والعجيب من دعواهم وانتحالهم «بالسلفية» ومع ذلك يتركون ما ثبت وصحّ عن السلف- كعثمان بن حنيف؟!!

وهل من المعقول: أن يتبنّى الإنسان عقيدة ثم يفتّش عن أحاديث

١- إشارة إلى ما أورده أحمد ۴: ١٣٨ بسند صحيح. وهو حديث الأعمى الذى ردّ بصره بالدعاءالذى علّمه إيّاه. وأخرجه الترمذى ۵: ۵۶۹ ح ٣٥٧٨ وابن ماجه ١: ۴۴١ والحاكم ١: ٣١٣.

٢- معجم الطبرانى ٩: ٣٠ الرقم ٨٣١١، المعجم الصغير ١: ١٨٣، وقال: الحديث صحيح.

٣- سير أعلام النبلاء ٢: ٣٢٠.

ص: ٧٨

تؤيِّد وتثبت هـذه العقيـدة؟! أم العكس هو الصـحيح، أى لابـد وأن نسـتخلص العقيدة- سواء فى مسألة التوسل أو أمر آخر- من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة من طريق السلف!.

الاستغاثة بالقبور:

جرت سيرة المسلمين قديماً وحديثاً على الاستغاثة بقبور الأنبياء والصالحين وأفتى العلماء بجواز ذلك وفيما يلى نماذج منه:

١- الاستغاثة بقبر النبى صلى الله عليه و آله:

- عن الدارمى: «... قحط أهلُ المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبى صلى الله عليه و آله فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ. قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نَبَتَ العشب وسَمَنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فَسُمّى عام الفتق» (١).

- روى ابن أبى شيبة، بإسناد صحيح من رواية أبى صالح السمان عن مالك الدار- وكان خازن عمر- قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللَّه استسق لُامّتك فانّهم قد هلكوا، فأتى الرجل فى المنام فقيل له: إئتِ عمر... الحديث وقد روى سيف فى الفتوح: ان الذى رأى فى المنام المذكور هو «بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة» (٢).

١- سنن الدارمى ١: ٥٦، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٤٧. وفاء الوفاء ۴: ١٣٧۴.

٢- فتح البارى ٢: ٥٧٧، وفاء الوفاء ۴: ١٣٧٢.

ص: ۷۹

۲- مشهد الإمام الحسين عليه السلام بالقاهرة:

قال الحمزاوى العدوى المتوفى ۱۳۰۳ بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين: واعلم أنه ينبغى كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسّلًا به إلى اللَّه ويطلب من هذا الإمام ما كان يطلب منه فى حياته، فانّه باب تفريج الكروب فبزيارته يزول عن الخطب الخطوب ويصل إلى اللَّه بأنواره والتوسل به كلُ قلب محجوب. ومن ذلك ما وقع لسيدى العارف باللَّه تعالى محمد شلبى شارح «العزية» الشهير بابن الست، وهو انّه قد سرقت كتبُه جميعها من بيته قال: فتحيّر عقله واشتد كربه، فأتى إلى مقام ولىِّ نعمتنا الحسين عليه السلام منشداً لأبيات استغاث بها فتوجّه إلى بيته بعد الزيارة ومكث فى المقام مدّة، فوجد كتبه فى محلّها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها» (۱).

۳- استغاثة الضرير بالمشهد الشريف:

عقد الشبراوى الشافعى المتوفى ۱۱۷۲ فى كتابه الاتحاف بحب الأشراف باباً فى ذلك المشهد الشريف- رأس الحسين عليه السلام- وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له منها: ان رجلًا يقال له شمس الدين القعوينى كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلَّم الكسوة الشريفة، حصل له ضرر فى عينيه فكفّ بصره وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح فى مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف على باب الضريح الشريف، ويقول:

ياسيدى أنا جارك قد كفّ بصرى وأطلب من اللَّه بواسطتك أن يردّ

۱- مشارق الأنوار للحمزاوى ۱: ۱۹۷، انظر الغدير ۵: ۱۹۱.

ص: ۸۰

علیَّ ولو عیناً واحدهٔ، فبینما هو نائم ذات لیلهٔ إذ رأی جماعهٔ أتوا إلی المشهد الشریف فسأل عنهم، فقیل له: هذا النبی صلی الله علیه و آله والصحابهٔ معه جاؤا لزیارهٔ الحسین علیه السلام، فدخل معهم ثم قال ما کان یقوله فی الیقظهٔ، فالتفت الحسین إلی جدّه صلی الله علیه و آله وذکر له ذلک علی سبیل الشفاعهٔ عنده فی الرجل، فقال النّبی صلی الله علیه و آله للإمام علی علیه السلام: یاعلی کحِّله. فقال: سمعاً وطاعهٔ وأبرز من یده مکحلهٔ ومروداً وقال له: تقدّم حتی أُکحلک فتقدم فلوَّث المرود ووضعه فی عینه الیمنی، فأحسَّ بحرقانٍ عظیم، فصرخ صرخهٔ عظیمهٔ فاستیقظ منها وهو یجد حرارهٔ الکحل فی عینه ففتحت عینه الیمنی فصار ینظر بها إلی أن مات» (۱).

۴- ابن حبان یستشفع بقبر الرضا علیه السلام

اشارهٔ

قال ابن حبان: «مات علی بن موسی الرضا بطوس من شربهٔ سقاه إیّاها المأمون فمات من ساعته... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور یزار.. قد زرتُهُ مراراً کثیراً، وما حلَّتْ بی شدّهٔ فی وقت مقامی بطوس فزرت قبر علی بن موسی الرضا صلوات اللّه علی جدّه وعلیه، ودعوت اللّه ازالتها عنّی إلّااستجیب لی وزالت عنّی تلک الشدّهٔ، وهذا شیء جرّبتهُ مراراً فوجدتُه کذلک، أماتنا اللّه علی محبّهٔ المصطفی وأهل بیته صلّی اللّه علیه وعلیهم أجمعین» (۲).

۱- الاتحاف بحب الاشراف: ۷۵- ۱۱۰، الغدیر ۵: ۱۸۷.

۲- کتاب الثقات ۶: ۴۰۲، الأنساب للسمعانی ۱: ۵۱۷.

ص: ٨١

التعريف بابن حبان:

قالوا فيه: «انه الإمام العلّامة، الحافظ المجوّد شيخ خراسان، صاحب الكتب المشهورة ولد سنة بضع وسبعين ومئتين. وكان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار... صنف المسند الصحيح يعنى به: كتاب الأنواع والتقاسيم وكتاب التاريخ وكتاب الضعفاء، وفقّه الناس بسمرقند.

وثّقه أبو بكر الخطيب وقال: كان ثقة نبيلًا فهماً.

كما مدحه الحاكم النيسابورى بقوله: كان من أوعية العلم فى الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال.. أقام عندنا بنيسابور.. وقُرى عليه جملة من مصنّفاته..» (١).

هل يمكن لابن تيمية وأتباعه رميه بالشرك والكفر والجاهلية!! لأنه كان يزور الرضا عليه السلام مراراً ويستغيث به؟!

٥- ابن خزيمة يتضرّع عند قبر الإمام الرضا عليه السلام

اشارة

قال محمد بن مؤمل (٢): خرجنا مع إمام أهل الحديث ابى بكر بن

١- سير أعلام النبلاء ١٦: ٩٢، انظر ميزان الاعتدال ٣: ٥٠٦، النجوم الزاهرة ٣: ٣٤٢، طبقات السُبكى ٣: ١٣١، الأنساب ٢: ٢٠٩، الوافى بالوفيات ٢: ٣١٧.

٢- هو أبو بكر الماسرجسى المتوفى عام ٣٥٠ ه الإمام رئيس نيسابور أحد البلغاء والفصحاء، وقد بنى داراً للمحدثين وادرَّ عليهم الأرزاق، وروى عنه السّلمى والحاكم وسعيد بن محمد بن محمد بن عبدان، سير أعلام النبلاء ١٦: ٢٣.

ص: ۸۲

خزيمة وعديلة ابن على الثقفى مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر على بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه- يعنى ابن خزيمة- لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيّرنا» (۱).

التعريف بابن خزيمة:

قال الذهبى: إنّه شيخ الإسلام، إمام الأئمة، الحافظ، الحجة، الفقيه، صاحب التصانيف، ولد عام ثلاث وعشرين ومئتين، وعنى فى حداثته بالحديث والفقه حتى صار يُضرب به المثل فى سَعة العلم والاتقان.

وقد حدّث عنه البخارى ومسلم فى غير الصحيحين (۲).

إن اللَّه ليدفع بالبلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبى بكر ابن خزيمة.

وقال الدارقطنى: كان إماماً ثبتاً، معدوم النظير.

وقالوا عنه: إنّه رجلٌ يُحيى سنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

وقالوا عنه: انه يستخرج النُكت من حديث رسول للَّهصلى الله عليه و آله بالمنقاش.

وكان هذا الإمام جِهبذاً بصيراً بالرجال. وكان له عظمة فى النفوس وجلالة فى القلوب لعلمه ودينه، واتّباعه السنّة (۳).

۱- تهذيب التهذيب ۷: ۳۳۹.

۲- سير أعلام النبلاء ۱۴: ۳۶۵.

۳- سير أعلام النبلاء ۱۴: ۳۷۴- ۳۷۷.

ص: ۸۳

وقال ابن أبی حاتم فیه: هو إمام یُقتدی به.

هل یتجرأ ابن تیمیة أن یرمی ابن خزیمة بالکفر والشرک لمجرّد إستغاثته وتضرّعه بقبر الإمام الرضا علیه السلام؟!

وهل لابن تیمیة أن یُبدی الرأی فی أمثال ابن خزیمة؟!

نماذج من الاستغاثة بالقبور

۱- قبر أبی أیوب الأنصاری المتوفی عام ۵۲ بالروم:

قال الحاکم: یتعاهدون قبره ویزورونه ویستسقون به إذا قحطوا» (۱).

۲- قبر الإمام موسی بن جعفر علیه السلام:

عن شیخ الحنابلة- أبی علی الخلّال- ما همّنی أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسی بن جعفر فتوسلتُ به إلّاسهّل اللّه تعالی لی ما أُحبُّ (۲).

۳- قبر أبی حنیفة:

«إن الإمام الشافعی أیّام کان هو ببغداد کان یتوسل بالإمام أبی حنیفة ویجیء إلی ضریحه یزور فیسلّم علیه ثم یتوسل إلی اللّه تعالی به فی قضاء حاجاته.

وقال: قد ثبت ان الامام أحمد توسّل بالإمام الشافعی حتی تعجَّب ابنه عبداللّه بن الامام أحمد، فقال له أبوه: إن الشافعی کالشمس للناس وکالعافیة للبدن، ولمّا بلغ الإمام الشافعی: أن أهل المغرب

۱- مستدرک الحاکم ۳: ۵۱۸، الرقم ۵۹۲۹/ ۱۵۲۷، صفة الصفوة ۱: ۴۷۰.

۲- تاریخ بغداد ۱: ۱۲۰.

ص: ۸۴

يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم قال الشافعى: «انى لأتبرّك بأبى حنيفة وأجيئ إلى قبره كل يوم فإذا عرضت لى حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت اللّه تعالى الحاجة عنده». (۱) ۴- التوسل بقبر أحمد بن حنبل:

حكى ابن الجوزى فى مناقب أحمد، عن عبداللّه بن موسى قال:

خرجتُ أنا وأبى فى ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدت الظلمة فقال أبى:

يابنى تعال نتوسل إلى اللّه تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضىء لنا الطريق، فإنى منذ ثلاثين سنة ما توسلت به إلّاقُضيت حاجتى، فدعا أبى وأمّنتُ على دعائه، فأضائت السماء كأنّها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه» (۲).

۵- قبر ابن فورك الاصبهانى المتوفى ۴۰۶ ه

«دفن بالحيرة من نيسابور، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده» (۳).

أقول: هو محمد بن الحسن، شيخ المتكلمين، وكان اشعرياً، ولكن نسب الذهبىوابن حزم اليه ما لا يصدر من مسلم، ولو صدر كان فى حدّ الارتداد (۴).

۱- خلاصة الكلام: ۲۵۲ للسيد زينى دحلان، تاريخ بغداد ۱: ۱۲۳، مناقب أبى حنيفة للخوارزمى ۲: ۱۹۹، انظر الغدير ۵: ۱۹۴.

۲- مناقب أحمد: ۲۹۷، لابن الجوزى.

۳- وفيات الاعيان ۴: ۲۷۲، سير أعلام النبلاء ۱۷: ۲۱۵.

۴- انظر سير أعلام النبلاء ۱۷: ۲۱۵، وطبقات الشافعية ۴: ۱۳۰.

ص: ۸۵

۶- قبر الشيخ أحمد بن علوان: ت ۷۵۰ ه

قال اليافعي: «ومن كراماته ان ذرية الفقهاء الذين كانوا ينكرون عليه صاروا يلوذون عند النوائب بقبره ويستجيرون من خوف السلطان» (۱).

۷- الاستسقاء بقبر البخاري:

۱- ومن جميل ما يذكره العلماء: ان سمرقند استسقت واستغاثت بقبر البخاري عام ۴۶۴ ه يعني قبل ولادة ابن تيمية صاحب المزاعم بثلاثمائة سنة فعن السُبكي: «قُحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مراراً فلم يُسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سَمرقند، فقال له: اني قد رأيت رأياً أعرضه عليك.

قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج، ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ونستسقي عنده، فعسى اللّه أن يسقينا، فقال القاضي: نِعمَ ما رأيت. فخرج القاضي، والناس معه واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه فأرسل اللّه تعالى السماء بماء عظيم غزير، فقام الناس من أجله بخرتنك (۲) سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند، من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخَرتَنك نحو ثلاثة أميال (۳).

لعل ابن تيمية لم يطّلع على هذه الاستغاثة والاستشفاع، وإلا

۱- مرآة الجنان ۴: ۳۵۷.

۲- من قرى سمرقند./ معجم البلدان ۲: ۳۵۶.

۳- طبقات الشافعية ۲: ۲۳۴، سير أعلام النبلاء ۱۲: ۴۶۹.

ص: ٨۶

لرماهم بالكفر والشرك. أو أن هذه القضية غير ثابتة عنده!!

كلام الإمام القيروانى المالكى المتوفى ٧٣٧ ه فى التوسل بالقبور:

قال فى فصل زيارة القبور: اما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين فيأتى إليهم الزائر، ويتعيّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطراب والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لا- بعين بصره لأنهم لا- يبلون ولا- يتغيّرون، ثم يثنى على اللّه تعالى بما هو أهله ثم يصلّى عليهم... ثم يتوسل إلى اللّه تعالى بهم فى قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بِألإجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنّه فى ذلك. فانّهم باب اللّه المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم. ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه فانّهم السادة الكرام والكرام لا يردّون من سألهم ولا من توسّل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم.

وامّا فى زيارة سيّد الأوّلين والآخرين، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعنى من الانكسار والذل والمسكنة، لأنّه الشافع المشفع الذى لا تردُّ شفاعتهُ، ولا يخيّب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به.. فمن توسل به، أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه، فلا يُردُّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار..

ص: ۸۷

فالتوسل به علیه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطایا..» (۱).

والحاصل أن هذه النصوص والشواهد التاریخیة تدل علی أن الاستغاثة بالمیت والدعاء عند قبره والتوسل به کان أمراً شائعاً بین المسلمین علی صعید الخواص والعوام فهذا الإمام الشافعی یتوسل بأبی حنیفة فی قضاء حاجاته. وذاک شیخ الحنابلة ما أهمّه أمر إلّاتوسّل بقبر الإمام موسی بن جعفر علیه السلام، وثالث هو الإمام أحمد یتوسل بالإمام الشافعی فی قضاء حوائجه، وهذان ابن خزیمة وابن حبّان یتوسّلان بقبر الإمام الرضا علیه السلام ویستغیثانه فی إنجاز الحوائج وهؤلاء أهالی سمرقند یستسقون بقبر البخاری. وهذه عائشة تأمر المسلمین بأن یستغیثوا بقبر النبی صلی الله علیه و آله للاستسقاء. فهذه شخصیات من الصحابة، وأکابر أهل السنّة من الفقهاء وغیرهم؛ یستغیثون بقبور الأنبیاء والصحابة والأولیاء والصالحین!! فهل یتجرأ ابن تیمیة التقول علیهم بأنّهم مشرکون، کفّار!!؟

ولقد أجاد وأفاد الشیخ سلامة العزامی حیث قال:

«لقد تعدّی هذا الرجل- ابن تیمیة- حتی علی الجناب المحمّدی فقال: إنَّ شدّ الرحال إلی زیارته معصیة، وانّ من ناداه مستغیثاً به علیه الصلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرک فتارة یجعله شرکاً أصغر، واخری یجعله شرکاً أکبر. وإن کان المستغیث ممتلئ القلب بأنّه لا

۱- المدخل فی فصل زیارة القبور ۱: ۲۵۷، الغدیر ۵: ۱۱۱.

ص: ۸۸

خالق ولا مؤثّر إلّااللّه، وإنّ النبی صلی الله علیه و آله انّما ترفع إلیه الحوائج ویستغاث به، علی ان اللّه جعله منبع کل خیر، مقبول الشفاعة مستجاب الدعاء، کما هی عقیدة جمیع المسلمین مهما کانوا من العامة» (۱).

من قصص الاستغاثة

اشارة

تعرّض السمهودی فی خاتمة کتابه لنبذةٍ ممّا وقع لمن استغاث بقبر النبی صلی الله علیه و آله أو طلب منه شیئاً عند قبره. فأُعطی مطلوبه ونال مرغوبه، وقدنقلها من کتاب «مصباح الظلام (۲) فی المستغیثین بخیر الأنام» للإمام الحافظ سلیمان بن موسی بن سالم البلنسی (۳) المتوفی عام ۶۳۴ ه» (۴).

۱- فرقان القرآن: ۱۳۳، الغدیر ۵: ۱۵۵.

۲- لقد فات المعلّق «علی سیر أعلام النبلاء» التعلیق علی هذا الکتاب الذی یبحث فی موضوع الاستشفاع والاستغاثة بقبر النبی صلی الله علیه و آله، کما هو دأبه فی التعلیق علی کل ما یرد هنا ولا یلائم مزاعم الوهابیة ومعتقداتهم، کما فی تعلیقاته فی ترجمة الکرخی والسیّدة نفیسة وابی عوانة و...

ولعلّ حضرة المعلّق لم یطّلع علی محتوی الکتاب ولم یعرف مضمونه، وإلّا لما سلم الکتاب ولا الکاتب من سطوات هذا المعلّق المتقی الزاهد! فالحمد للّه علی ذلک.

ولذا تراه یمدح المؤلف وموقفه الجهادی إلی أن نال الشهادة. ویقول فی حقّه: هکذا علماء الامّة والمحدِّثون خاصة، أوّل المدافعین عن بلاد الإسلام وحفظ بیضته» سیر أعلام النبلاء ۲۳: ۱۳۴.

۳- وإن کان السمهودی قد ذکر إسم مؤلِّف هذا الکتاب هکذا محمد بن موسی بن نعمان البلنسی ولعله کتابان بهذا الأسم لمؤلفین. ولقد أثبت الچلبی هذا الکتاب لسلیمان بن موسی بن سالم البلنسی ولمحمد بن موسی التلمسانی انظر کشف الظنون ۲: ۱۷۰۶.

۴- قال ابن عماد «أبو الربیع الکلاعی سلیمان بن موسی بن سالم البلنسی الحافظ الکبیر الثقة صاحب التصانیف وبقیة أعلام الأثر بالأندلس. ولد سنة خمس وستین وخمسمائة وسمع ابن زرقون.

قال الأبار: کان بصیراً بالحدیث عاقلًا عارفاً بالجرح والتعدیل ذاکراً للموالد والوفیات، یتقدّم أهل زمانه فی ذلک خصوصاً من تأخّر زمانه ولا نظیر لخطّه فی الإتقان والضبط...» شذرات الذهب ۵: ۱۶۴.

وقال الذهبی: «الإمام العلّامة الحافظ المُجْود الأدیب البلیغ شیخ الحدیث والبلاغة بالأندلس أبو الربیع سلیمان بن موسی البلنسی.. وکان من کبار أئمّة الحدیث.

ونقل عن أبی عبداللّه بن الآبار فی تاریخه: انّه کان إماماً فی صناعة الحدیث.. وله تصانیف مفیدة فی فنون عدیدة:

منها: کتاب مصباح الظلم.. انتفعتُ به فی الحدیث کل الانتفاع، وأخذت عنه کثیراً. ونقل عن الحافظ ابن مُسدی: لم أَلْقِ مثله جلالة ونُبْلًا وریاسة وفضلًا، کان إماماً مبرَّزاً فی فنون من منقول ومعقول ومنثور وموزون جامعاً للفضائل برع فی علوم القرآن والتجوید.. وهو ختام الحفاظ..

وعن ابن الآبار: کان یحدّثنا أن السبعین منتهی عمره لرؤیا رآها وهو آخر الحفّاظ والبلغاء بالأندلس. سیر أعلام النبلاء ۲۳: ۱۳۴،

النجوم الزاهرة ۶: ۲۹۸

ص: ۸۹

۱- قصّة والد ابن المنكدر:

«اتفق الجماعة من علماء سلف هذه الامّة من أئمّة المحدِّثين والصوفية والعلماء باللَّه المحقّقين. قال محمد بن المنكدر: أودع رجل أبى ثمانين ديناراً وخرج للجهاد، وقال لأبى: إن احتجت أَنفقها إلى أن أعود.

وأصاب الناس جهدٌ من الغلاء، فأنفق أبى الدنانير، فقدم الرجل وطلب ماله، فقال له أبى: عُد إلىَّ غداً، وبات فى المسجد يلوذ بقبر النبىّ صلى الله عليه و آله مرّة وبمنبره مرّة، حتّى كاد أن يصبح، يستغيث بقبر النبىّ صلى الله عليه و آله

ص: ۹۰

فبینما هو کذلک وإذا بشخص فی الظلام یقول: دونکها یا أبا محمد، فمدَّ أبی یده فإذا هو بصُرّةٍ فیها ثمانون دیناراً، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إلیه» (۱).

۲- النبی صلی الله علیه و آله یأمر بالطعام إلی الطبرانی:

«قال الإمام أبو بکر بن المقری (۲): کنت أنا والطبرانی وأبو الشیخ فی حرم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وکنّا علی حالته، وأثَّر فینا الجوع، وواصلنا ذلک الیوم، فلما کان وقت العشاء حضرتُ قبر النبی صلی الله علیه و آله فقلت: یارسول اللَّه الجوع، وانصرفتُ، فقال لی أبو القاسم: اجلس فأما أن یکون الرزق أو الموت، قال أبو بکر: فقمتُ أنا وأبو الشیخ؛ والطبرانی جالس ینظر فی شیء، فحضر بالباب علوی، فدقَّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع کل واحد زنبیل فیه شیء کثیر فجلسنا وأکلنا وظننا أن الباقی یأخذه الغلام، فولّی وترک عندنا الباقی، فلما فرغنا من الطعام قال العلوی: یاقوم أشکوتم إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟ فإنّی رأیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی المنام فأمرنی أن أحمل بشیء إلیکم (۳).

۳- النصف الآخر من الرغیف فی الید:

«وقال ابن الجلاد: دخلتُ مدینة النبیّ صلی الله علیه و آله وبی فاقة، فتقدّمت إلی

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۰.

۲- قالوا فیه: انه فاق سائر نظائره مع إتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسکه‌توفی سنة ۳۲۴ ه، سیر أعلام النبلاء ۱۵: ۲۷۳، طبقات الشافعیة ۳: ۵۸.

۳- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۰.

ص: ۹۱

القبر وقلت: ضيفك، فغفوتُ فرأيت النبيّ صلى الله عليه و آله فأعطانى رغيفاً، فأكلتُ نصفه، وانتبهت وبيدى النصف الآخر (۱).

۴- الدراهم المباركة:

«قال أبو عبداللّه محمد بن أبى زرعة الصوفى: سافرت مع أبى ومع أبى عبداللّه بن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة الرسول صلى الله عليه و آله، وبتنا طاوِين، وكنتُ دون البلوغ، فكنتُ أجيئ إلى أبى غير دفعة وأقول: أنا جائع، فأتى أبى الحظيرة وقال: يارسول اللّه أنا ضيفك الليلة، وجلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة، فسئل عنه فقال: رأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله فوضع فى يدى دراهم، وفتح يده، فإذا فيها دراهم، وبارك اللّه فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، وكنّا ننفق منها (۲).

۵- شربة رويّة من قدح لبن!

«وسمعت الشيخ أبا عبداللّه محمد بن أبى الأمان يقول: كنت بمدينة النبيّ صلى الله عليه و آله خلف محراب فاطمة عليها السلام وكان الشريف مكثر القاسمى قائماً خلف المحراب المذكور، فانتبه فجاء إلى النبى صلى الله عليه و آله وعاد علينا متبسّماً، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوى: فيمَ تبسمت؟ فقال:

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۰.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۱.

ص: ۹۲

كانت بى فاقة، فخرجت من بيتى فأتيت بيت فاطمة عليها السلام فاستغثت بالنبى صلى الله عليه و آله وقلت: إنّى جائع، فنمتُ فرأيت النبى صلى الله عليه و آله فأعطانى قدح لبن فشربت حتى رويت..» (۱).

۶- ثلاثة أمداد من التمر الطيّب!

«عن أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد: كنت بمدينة النبىّ صلى الله عليه و آله ومعى ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة، فجئت إلى النبىّ صلى الله عليه و آله فقلت:

يارسول اللّه ليس لنا شىء. ويكفينا ثلاثة أمداد من أى شىء كان.

فتلقانى رجل فدفع إلىَّ ثلاثة أمداد من التمر الطيّب» (۲).

۷- الثريد أمنية جائع على رسول اللّه صلى الله عليه و آله!

«وسمعتُ الشريف أبا محمد عبد السلام بن عبدالرحمن الحسينى الفاسى يقول: أقمتُ بمدينة النبى صلى الله عليه و آله ثلاثة أيام لم أستطعم فيها، فأتيتُ عند منبره صلى الله عليه و آله فركعت ركعتين وقلت: ياجدّى جعت وأتمنى عليك ثردة، ثم غلبتنى عينى فنمت، فبينا أنا نائم وإذا برجل يوقظنى، فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويه، فقال لى: كُلْ، فقلت له: من أين هذا؟ فقال: إنّ صغارى لهم ثلاثة أيام يتمنّون هذا الطعام، فلما كان اليوم، فتح اللّه لى بشىء عملت به هذا، ثم

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

ص: ۹۳

نمت فرأیت رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی النوم وهو یقول: ان أحد إخوانک تمنّی علیَّ هذا الطعام فأطعمه منه» (۱).

۸- امنیهٔ اخری لجائع آخر!

«سمعت عبداللّه بن الحسن الدمیاطی یقول: حکی لی الشیخ الصالح عبدالقادر التنیسی بثغر دمیاط قال:.. دخلت مدینهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله وسلّمت علی النبی صلی الله علیه و آله وشکوت له ضرری من الجوع، واشتهیت علیه الطعام من البر واللحم والتمر، وتقدّمت بعد الزیارهٔ للروضهٔ فصلّیت فیها، وبتّ فیها، فإذا شخص یوقظنی من النوم، فانتبهتُ ومضیتُ معه، وکان شابّاً جمیلًا خَلْقاً وخُلقاً، فقدَّم إلیَّ جفنهٔ ثرید وعلیها شاهٔ وأطباق من أنواع التمر صیحانی وغیره وخبزاً کثیراً من جملته خبز أقراص سویق النبق، فأکلتُ فملأ لی جرابی لحماً وخبزاً وتمراً، وقال:

کنت نائماً بعد صلاهٔ الضحی فرأیت النبی صلی الله علیه و آله فی المنام وأمرنی أن أفعل لک هذا، ودلَّنی علیک، وعرّفنی مکانک بالروضهٔ، وقال لی: إنّک اشتهیت هذا وأردته» (۲).

۹- أضاف المؤلِّف- صاحب کتاب مصباح الظلام- بعد نقل هذه القصص من التوسّلات والاستغاثات بالنبیّ الکریم صلی الله علیه و آله: «إنّه قد وقع فی کثیر ممّا ذکر وأمثاله أن الذی یأمره صلی الله علیه و آله فی ذلک انّما یکون من الذریّهٔ

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

ص: ۹۴

الشریفة، لاسیما إذا کان المتناوَل طعاماً، لأن من تمام جمیل أخلاق الکرام إذا سئلوا القِرَی البداءة بأنفسهم ثم بمن یکون منهم، فاقتضی خُلُقه الکریم أن إعطاء سائل القِری یکون منه ومن ذرّیته الکریمة» (۱).

ثم بعد هذه المجموعة من قصص من شخصیات کالطبرانی وابن المقرئ وابن المنکدر وغیرهم هل یبقی مجال لابن تیمیة أن یدعی ان التوسل والاستغاثة بالنبی صلی الله علیه و آله شرک؟!!

وهل مؤلّف کتاب مصباح الظلام مشرک، وهل جمع فی کتابه هذا:

الکفریات والشرک!

وهل یتجرأ ابن تیمیة ومن تبعه أن یرمی المؤلِّف البلنسی بالشرک، وهو الحافظ الکبیر الثقة- کما قاله ابن عماد والبصیر بالحدیث والمتقدّم علی أهل زمانه کما قاله الأبار، والإمام المبرز فی فنون المعقول والمنقول کما قاله ابن مسدی. والإمام العلّامة الحافظ شیخ الحدیث کما قاله الذهبی. فهل یُصغی إلی مزاعم ابن تیمیة بعد هذا؟

السمهودی یروی قصّة عن نفسه:

إنّ السمهودی بعد أن أورد قصصاً عن توسل المحدّثین والفقهاء بقبر النبی صلی الله علیه و آله- نقلًا عن کتاب مصباح الظلام- قال: «والحکایات فی هذا الباب کثیرة، بل وقع لی شیء منها: أنی کنت بالمسجد النبوی عند قدوم الحاج المصری للزیارة، وفی یدی مفتاح الخلوة التی فیها کتبی

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۵.

ص: ۹۵

بالمسجد، فمرّ بی بعض علماء المصریین ممّن کان یقرأ علی بعض مشایخی، فسلّمت علیه، فسألنی أن أمشی معه إلی الروضة الشریفة، وأقف معه بین یدی النبی صلی الله علیه و آله ففعلت، ثم رجعت فلم أجد المفتاح، وتطلّبتُهُ فی الأماکن التی مشیت إلیها فلم أجده، وشقّ علیَّ ذهابه فی ذلک الوقت الضیّق مع حاجتی إلیه، فجئت إلی النبی صلی الله علیه و آله وقلت:

یاسیدی یارسول اللّه ذهب مفتاح الخلوة، وأنا محتاج إلیه وأریده من بابک، ثم رجعت فرأیت شخصاً قاصداً الخلوة، فظننتهُ بعض من أعرفه، فمشیت إلیه، فلم أجده إیّاه، ووجدت صغیراً لا أعرفه بقرب الخلوة بیده المفتاح، فقلت له: من أین لک هذا؟ فقال: وجدتُهُ عند الوجه الشریف، فأخذتُه منه وغیر ذلک مما یطول ذکره» (۱).

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۵.

ص: ۹۶

صفحه سفید

ص: ۹۷

الفصل الرابع: زيارة القبور

اشارة

زيارة القبور

۱- رأى ابن تيمية فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله

۲- مناقشة المدعى

۳- الأحاديث والزيارة

۴- سيرة الصحابة فى الزيارة

۵- حديث شد الرحال

۶- موقف السنّة من مزاعم ابن تيمية

۷- زيارة القبور والمشاهد

۸- أحاديث فى زيارة المشاهد

۹- سيرة الصحابة والتابعين

۱۰- القبور المقصودة بالزيارة

۱۱- رأى فقهاء السنّة فى زيارة القبور

۱۲- زيارة النبىّ صلى الله عليه و آله قبر امّه

۱۳- الشىء يذكر بالشىء

ص: ٩٨

ص: ۹۹

۱- زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله

اشارة

منع ابن تيمية من زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وحرمها مطلقاً مع شدِّ الرحال أو بدونه، فضلًا عن زيارة قبر غيره، حكى ذلك عنه القسطلانى (۱) وابن حجر فى الجوهر المنظم (۲).

وقال: بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً وانّه لا تقصر فيه الصلاة.

مناقشة المدعى:

إن الزيارة أمرٌ مشروع بالأدلّة الأربعة:

أمّا الكتاب: فقوله تعالى: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك

۱- إرشاد السارى ۲: ۳۲۹.

۲- كشف الارتياب: ۴۵۹.

ص: ۱۰۰

فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توّاباً رحیماً (۱).

فإنّ الزیارة هی الحضور الذی هو عبارة عن المجیء إلیه سواء کان لطلب الاستغفار أو بدونه.

وإذا ثبت رجحان ذلک فی حیاته، ثبت بعد مماته، أیضاً لما دلّ علی حیاته البرزخیة وسماعه وردّه السلام علی من یسلِّم علیه وعرض الأعمال علیه.

۱- فعن القسطلانی: لیس من یوم إلّاویعرض علی النبی أعمال امّته غدوة وعشیة، فیعرفهم بسیماهم وأعمالهم، فکذلک یشهد علیهم» (۲).

وروی ابن زرعة العراقی: عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «حیاتی خیر لکم تحدثون ویحدث لکم ووفاتی خیرٌ لکم تعرض علیَّ أعمالکم فما رأیت من خیر حمدتُ اللّه علیه وما رأیت من شرّ استغفرت اللّه لکم» (۳).

۲- قال السبکی- فیما حکاه عنه السمهودی: «والعلماء فهموا من الآیة العموم لحالتی الموت والحیاة، واستحبّوا لمن أتی القبر أن یتلوها» (۴).

۳- وحکایة الأعرابی أیضاً تدلّ علی الحیاة البرزخیة

۱- النساء: ۶۴.

۲- المواهب اللدنیة بالمنح المحمدیة ۳: ۴۱۰.

۳- طرح التثریب فی شرح التقریب: ۲۹۷.

۴- کشف الارتیاب ۲۵۶، ۳۴۰.

ص: ۱۰۱

لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وهذه الحكاية أوردها المصنّفون فى المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من أدب الزائر وهى: كما عن ابن عساكر عن محمد بن حرب (۱) قال: دخلت المدينة فأتيتُ قبر النبى صلى الله عليه و آله فزرتُهُ وجلست بحذائه فجاء أعرابى فزاره ثم قال: ياخير الرُسل إن اللّه أنزل عليك كتاباً صادقاً فقال: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم... وقد ظلمتُ وجئتك تستغفر لى، فنودى من القبر: قد غفر لك.

وقد نقلها السمهودى بطريقين عن على بن أبى طالب عليه السلام (۲).

وأمّا السّنة:

فقد وردت أحاديث كثيرة وبطرق عديدة على اختلاف مضامينها وفيما يلى نماذج منها:

الحديث الأوّل: عن النبى صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» (۳)، ولهذا الحديث أربعون مصدراً من كتب السنّة ومؤلفوها من الحفّاظ وأئمّة الحديث منهم:

۱- هو الحافظ الفقيه الخولانى المتوفى عام ۱۹۴ ه، روى له الصحاح ووثقه ابن معين والطائى، سير أعلام النبلاء ۹: ۵۸.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۲۶ انظر مصادره: الروض الفائق ۲: ۳۸۰، كشف الارتياب: ۲۵۸، المواهب اللدنية ۳: ۴۰۵، مغنى المحتاج ۱: ۵۱۲، كنوز الحقائق ۲: ۱۰۸، نيل الأوطار ۵: ۱۰۸، وقد استدل المراغى بهذه الآية على مشروعية زيارته صلى الله عليه و آله وأنها قربة.

۳- الغدير ۵: ۹۳، سنن الدارقطنى ۲: ۲۷۸، الأحكام السلطانية ۲: ۱۰۹، السنن الكبرى ۵: ۲۴۵، الكامل فى الضعفاء ۶: ۳۵۱، الضعفاء الكبير ۴: ۱۷۰، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ۵: ۱۹۴، مختصر تاريخ دمشق ۲: ۴۰۶، الترغيب والترهيب ۲: ۲۲۴، شفاء السقام: ۲، كنز العمال ۱۵: ۶۵۱، نيل الأوطار ۵: ۱۰۸.

ص: ۱۰۲

۱- عبید بن محمد الورّاق النیسابوری ت ۲۵۵ ه.

۲- ابن أبی الدنیا أبو بکر القرشی ت ۲۸۱ ه.

۳- الدولابی الرازی فی الکنی والأسماء ت ۳۱۰ ه.

۴- ابن خزیمهٔ فی صحیحه ت ۳۱۱ ه.

۵- أبو جعفر العقیلی فی کتابه ت ۳۲۲ ه.

۶- أبو أحمد بن عدی فی الکامل ت ۳۶۰ ه.

۷- الدارقطنی فی السنن ت ۳۸۵ ه.

۸- الماوردی فی الأحکام السلطانیهٔ ت ۴۵۰ ه.

۹- القاضی عیاض المالکی فی الشفا ت ۵۴۴ ه.

۱۰- ابن عساکر فی تاریخه: باب من زار قبره (۱). ت ۵۷۱ ه.

۱۱- السُبکی الشافعی فی شفاء السقام ت ۷۵۶ ه (۲).

قال العلّامهٔ اللکنوی: «وقد زلّ قدمُ من احتج علی ضعف حدیث من زار قبری وجبت له شفاعتی.. وإن شئت زیادهٔ التفصیل فی هذا البحث الجلیل فارجع إلی رسائلی فی بحث زیارهٔ القبر النبوی، إحداها:

الکلام المبرم فی نقض القول المحقق المحکم، ثانیتها: الکلام المبرور فی ردّ القول المنصور، وثالثتها: السعی المشکور فی ردّ المذهب المأثور» ألّفتها ردّاً علی رسائل من حجّ ولم یزر قبر النبی صلی الله علیه و آله العربی فی کل بکرهٔ وعشی» (۳).

۱- وقد أسقطه ابن بدران من تهذیبه.

۲- انظر الغدیر ۵: ۱۶۷.

۳- الرفع والتکمیل: ۲۱۱.

ص: ۱۰۳

أقول: إن رواة هذا الحديث إلى موسى بن هلال كلّهم ثقات لا ريبة فيهم.

وامّا موسى بن هلال: فقال ابن عدى: ارجو أنه لا بأس به وهو من مشايخ أحمد، وأحمد لم يكن يروى إلّاعن ثقة (۱). كما صرّح الخصم بذلك فى الرد على البكرى (۲).

وقد ذكر السبكى شواهد لقوّة سنده، وقال: وبذلك تبيّن أن أقلّ درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع فى دعوى صحّته.

إلى أن قال: وبهذا بل بأقل منه يتبيّن افتراء من ادعى: ان جميع الأحاديث الواردة فى الزيارة موضوعة، فسبحان اللّه أما إستحى من اللّه ومن رسوله فى هذه المقالة التى لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل، لا من أهل الحديث ولا من غيرهم! ولا ذكر أحدٌ موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلمٌ أن يطلق على كل الأحاديث التى هذا واحد منها أنها موضوعة (۳)؟!

الحديث الثانى: عن ابن عمر مرفوعاً: «من جاءنى زائراً لا تعمله- لا تحمله- إلّازيارتى كان حقّاً علىَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

ولهذا الحديث ستّة عشر مصدراً ونكتفى بذكر بعضها:

۱- الكامل فى الضعفاء ۶: ۳۵۱.

۲- انظر الغدير ۵: ۱۶۹.

۳- شفاء السقام: ۸.

ص: ۱۰۴

۱- الطبرانی ت ۳۶۰ ه فی المعجم الکبیر.

۲- الحافظبن السکن البغدادی ت ۳۵۳ ه فی کتابه: السنن الصحاح.

۳- الدارقطنی فی أمالیه. ت ۳۸۵ ه.

۴- أبو نعیم الاصبهانی ت ۴۳۰ ه.

۵- أبو حامد الغزالی الشافعی فی إحیاء العلوم ت ۵۰۵ ه (۱).

الحدیث الثالث: عن ابن عمر مرفوعاً: «من حج فزار قبری بعد وفاتی کان کمن زارنی فی حیاتی» (۲).

ولهذا الحدیث خمسهٔ وعشرون مصدراً من کتب السنّهٔ، وفیما یلی بعضها:

۱- الشیبانی ت ۳۰۳ ه.

۲- أبو یعلی ت ۳۰۷ ه فی مسنده.

۳- البغوی ت ۳۱۷ ه.

۴- ابن عدی ت ۳۶۵ ه فی الکامل.

۵- البیهقی ت ۴۵۸ ه فی السنن «۳».

۶- ابن عساکر ت ۵۷۱ ه فی تاریخه.

۱- المعجم الکبیر ۱۲: ۲۲۵، احیاء علوم الدین ۱: ۲۳۱، مختصر تاریخ دمشق ۲: ۴۰۶، شفاء السقام: ۱۶، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰، مغنی المحتاج ۱: ۵۱۲، المواهب اللدنیهٔ ۴: ۵۷۱.

۲- انظر الغدیر ۵: ۲۴۶، انظر مصادره: المعجم الکبیر ۱۲: ۳۱۰، سنن الدارقطنی ۲: ۲۷۸.

۳- کنز العمال ۱۵: ۶۵۱، الدرهٔ الثمینهٔ: ۳۹۷، مشکاهٔ المصابیح ۲: ۱۲۸، شفاء السقام: ۲۰- ۲۷، الروض الفائق: ۳۸۰، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰، نیل الأوطار ۵: ۱۰۸، مصباح الظلام ۲: ۳۵۱.

ص: ۱۰۵

الحديث الرابع: عن عبداللّه بن عمر، مرفوعاً:

«من حجَّ البيت ولم يزرنى فقد جفانى».

نقل هذا الحديث كثيرٌ من الحفّاظ (۱)، منهم:

۱- السمهودى ت ۹۱۱ ه فى وفاء الوفاء.

۲- الدارقطنى ت ۳۸۵ فى كتابه أحاديث مالك التى ليست فى الموطا.

۳- القسطلانى ت ۹۲۳ ه فى المواهب اللدنية.

الحديث الخامس: مرفوعاً، «لا عذر لمن كان له سعة من امّتى ولم يزرنى» (۲).

فعل الصحابة:

۱- ان عمر بن الخطاب لمّا قدم المدينة من فتوح الشام، كان أوّل ما بدأ بالمسجد، سلَّم على رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۳).

۲- إنّ ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبى صلى الله عليه و آله فقال:

السلام عليك يارسول اللّه صلى الله عليه و آله السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه (۴).

۱- نيل الأوطار ۵: ۱۰۸، شفاء السقام: ۲۷، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۲، المواهب اللدنية ۳: ۴۰۴، كشف الخفاء ۲: ۲۴۴، كتاب المجروحين ۳: ۷۳، مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۶۹، الغدير ۵: ۱۰۰.

۲- مجتمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر ۱: ۱۵۷، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰.

۳- شفاء السقام: ۴۴.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰.

ص: ۱۰۶

۳- إن ابن عمر کان یقف علی قبر النبی، فیصلّی (فیسلّم) علی النبی (۱).

۴- عن ابن عون: سأل رجل نافعاً: هل کان ابن عمر یُسلِّم علی القبر؟ قال: نعم، لقد رأیتهُ مائة مرّة أو أکثر من مائة کان یأتی القبر، فیقوم عنده، فیقول: السلام علی النبی صلی الله علیه و آله (۲).

۵- عن أبی حنیفة، عن ابن عمر: من السنّة أن تأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله من قِبل القبلة، وتجعل ظهرک إلی القبلة وتستقبل القبر بوجهک ثم تقول:...

هذا وقد جمع العلّامة الأمینی أکثر من أربعین قولًا لعلماء السنّة وفقهائهم فی استحباب زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله وآداب زیارته (۳).

وأمّا العقل:

فان العقل یحکم بحسن تعظیم من عظّمه اللّه تعالی (هذا من حیث الکبری) والزیارة نوع من التعظیم (وهذا من حیث الصغری).

والنتیجة أن تعظیمه صلی الله علیه و آله بالزیارة تعظیم لشعائر اللّه، وارغام لأُنوف أعدائه ومخالفیه.

المناقشة فی حدیث شدّ الرحال:

حاول ابن تیمیة التشنیع علی الإمامیة بأنّهم «یحجّون إلی المشاهد

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر نفسه.

۳- انظر الغدیر ۵: ۱۰۹.

ص: ۱۰۷

کما یحج الحاج إلی البیت العتیق، کأن زیارة المشاهد خاصة بالإمامیة دون سائر المذاهب الإسلامیة الاخری!

وابن عبدالوهاب یزعم حرمة شدّ الرحال إلی المشاهد المشرّفة وإلی قبر النبی صلی الله علیه و آله، وحرمة السفر بالقصد إلی هذه المشاهد، حیث یقول: «یُسَنّ زیارة النبیّ صلی الله علیه و آله إلّاأنّه لا تُشَدُّ الرحال إلّاإلی ثلاثة:

المسجد الحرام ومسجدی ومسجد الأقصی» (۱).

فهو یری حرمة السفر بقصد زیارة القبور استناداً إلی هذا الحدیث.

مناقشة هذا المدّعی:

أولًا ان الحصر هنا إضافی لا حقیقی یعنی بالنسبة إلی سائر المساجد لا یشد الرحال إلّاإلی هذه المساجد، وذلک لأن المستثنی منه لم یذکر، أی- أنَّ الاستثناء مفرَّغ- فکما یحتمل تقدیر «المکان، والموضع» فی المستثنی منه، یمکن تقدیر «المسجد» فیکون معنی الروایة لا تشد الرحال إلی مسجد من المساجد إلّاإلی هذه الثلاثة؛ وهذا التقدیر هو المتعیّن لأنه المتبادر والظاهر من الحدیث عرفاً. وعلیه فلا ربط للحدیث بحرمة شدّ الرحال إلی المشاهد المشرّفة والمقابر.

قال القسطلانی: «الاستثناء مفرغ والتقدیر لا تُشَد الرحال إلی موضع، ولازمه منع السفر إلی کل موضع غیرها کزیارة صالح أو قریب أو صاحب، أو طلب علم، أو تجارة أو نزهة، لأن المستثنی منه فی

۱- البخاری ۲: ۱۳۶، کتاب الصلاة، مسلم ۴: ۱۲۶ الحج، إحیاء العلوم للغزالی ۲: ۲۴۷.

ص: ۱۰۸

المفرغ یقدّر بأعم العام. لکن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد» (۱).

ثانیاً: مما لا ـ کلام فیه: هو الإجماع والاتفاق علی جواز السفر وشدِّ الرحال إلی أی مکان کان للتجارة أو طلب العلم، أو الجهاد، أو زیارة العلماء، أو النزهة، أو غیر ذلک، فلو کان المستثنی منه فی الحدیث هو غیر المسجد، بل المکان أو «الموضع» للزم عدم جواز شدِّ الرحال إلی هذه الجهات المذکورة، وهذا خلاف المتفق والمجمع علیه. فلابدّ من القول: بأن المستثنی منه فی الحدیث: هو المسجد یعنی لایقصد بالسفر إلی المسجد إلّاالمساجد الثلاثة.

وحینئذٍ: لایدلّ الحدیث، بل ولا إشارة فیه علی حرمة شدِّ الرحال إلی المشاهد وخصوصاً قبر النبیّ صلی الله علیه و آله وزیارته.

ثالثاً: إن مضمون هذا الحدیث غیر معمول به حتی علی فرض جعل المستثنی منه «المسجد» إذ معناه حینئذٍ عدم جواز شد الرحال إلی أی مسجد إلّاهذه المساجد الثلاثة، واما غیرها من المساجد فلایجوز السفر إلیها.

والحال: ان النصوص تصرِّح بأن النبی صلی الله علیه و آله والصحابة کانوا یذهبون کل سبت إلی مسجد قبا، وبینه وبین المدینة ثلاثة أمیال، مع ان «قبا» لیس من المساجد الثلاثة فلابد من الالتزام بحرمة الذهاب إلیها، مع انّه لم یتفوّه به مسلم.

۱- إرشاد الساری ۲: ۳۳۲.

ص: ۱۰۹

فعن ابن عمر: «کان النبی یأتی مسجد قباء کل سبت ماشیاً وراکباً، وکان عبداللّه یفعله» (۱).

رابعاً: إن بلالًا شدَّ الرحال لزیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله

روی ابن عساکر: «لما رحل عمر من فتح بیت المقدس، فصار إلی جابیة سأله بلال أن یقرَّه بالشام ففعل. قال: ثم إن بلالًا رأی فی منامه النبی صلی الله علیه و آله وهو یقول: ما هذه الجفوة یابلال، أما آن لک أن تزورنی یابلال.

فانتبه حزیناً وجِلًا، خائفاً، فرکب راحلته وقصد المدینة، فأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله فجعل یبکی عنده ویُمرِّغ وجهه علیه، فأقبل الحسن والحسین فجعل یضمّهما ویقبلهما، فقالا ـ له: یابلال نشتهی أن نسمع اذانک، فلما قال: اللّه أکبر، ارتجّت المدینة، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا اللّه ازدادت رجّتها فلما قال: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: بُعِثَ رسول اللّه، فما رؤیَ بالمدینة بعده صلی الله علیه و آله أکثر باکیاً وباکیة من ذلک الیوم» (۲).

قال الحافظ عبد الغنی وغیره: لم یؤذِّن بلال بعد النبی صلی الله علیه و آله إلّامرّة واحدة فی قدومه المدینة لزیارة النبی صلی الله علیه و آله (۳).

قال السُبکی: لیس اعتمادنا علی رؤیا المنام فقط، بل اعتمادنا علی

۱- إرشاد الساری ۲: ۳۳۲، البخاری ۲: ۱۳۷.

۲- اسد الغابة ۱: ۲۰۸، تهذیب المطالب ۲: ۴۰۸، شفاء السقام: ۸۵.

۳- ولکن ثبت تاریخیاً ان بلالًا أذَّن بعد النبی صلی الله علیه و آله ثلاث مرّات، مرّتان فی المدینة ومرّة بالشام. انظر قاموس الرجال ۲: ۳۹۸.

ص: ۱۱۰

فعل بلال سيما فى خلافة عمر، والصحابة متوافرون، ولا تخفى عنهم هذه القصة، ورؤيا بلال النبى صلى الله عليه و آله مؤكدة لذلك (۱).

وفى فتوح الشام: إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له: هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى صلى الله عليه و آله وتتمتّع بزيارته؟ فقال: نعم أنا أفعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة كان أوّل ما بدأ بالمسجد وسلّم على رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۲).

خامساً: استفاض عن عمر بن عبدالعزيز انّه كان يبرد البريد من الشام، يقول: سلِّم لى على رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۳).

موقف العلماء من مزاعم ابن تيمية

۱- قال القسطلانى: «قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه» (۴).

۲- النابلسى: «وليس هذا بأول ورطة وقع فيها ابن تيمية وأتباعه فانه جعل شدَّ الرحال الى بيت المقدس معصية... ونهى عن التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله الى اللّه تعالى وبغيره من الأولياء.. الى غير ذلك من التهورات الفظيعة الموجبة لكمال القطيعة التى استوفاها الحصنى فى

۱- تاريخ الاسلام عهد الخلفاء ۳: ۲۰۵، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۷.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۸.

۳- تهذيب المطالب ۲: ۴۰۸.

۴- إرشاد السارى ۲: ۳۲۹.

ص: ۱۱۱

کتاب مستقل فی الردّ علی ابن تیمیهٔ واتباعه وصرَّح فیه بکفره» (۱).

۳- وقال الغزالی: «کل من تبرّک بمشاهدته فی حیاته یتبرّک بزیارته بعد موته، ویجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض، ولا یمنع من هذا قوله: لاتشدّ الرحال إلّاعلی ثلاثهٔ مساجد» (۲).

۴- العزامی الشافعی: «ولقد تعدی هذا الرجل حتی علی الجناب المحمّدی فقال: إنَّ شدَّ الرِّحال إلی زیارته معصیهٔ...» (۳).

۵- الهیثمی الشافعی: فانّه بعدما استدلَّ علی مشروعیهٔ زیارهٔ قبر النبی صلی الله علیه و آله بعدّهٔ أدلّهٔ، منها الإجماع. قال: فإن قلت: کیف تحکی الإجماع علی مشروعیهٔ الزیارهٔ والسفر إلیها وطلبها، وابن تیمیهٔ من متأخّری الحنابلهٔ منکرٌ لمشروعیهٔ ذلک کلّه، رآه السُبکی فی خطّه؟! وقد أطال ابن تیمیهٔ الاستدلال لذلک بما تمجُّهُ الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمهٔالسفر إلیها إجماعاً، وأنه لاتقصر فیه الصلاهٔ. وأنجمیع الأحادیث الواردهٔ فیها موضوعهٔ، وتبعُه بعض من تأخَّر عنه من أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تیمیهٔ حتی ینظر إلیه أو یُعوَّل فی شیء من أمور الدین علیه؟! وهل هو إلّاکما قال جماعهٔ من الائمهٔ الذین تعقّبوا کلماته الفاسدهٔ وحججه الکاسدهٔ، حتی أظهروا سخف سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته...» (۴).

۱- الحضرهٔ الانسیهٔ فی الرحلهٔ القدسیهٔ: ۱۲۹.

۲- إحیاء علوم الدین ۲: ۲۴۷.

۳- فرقان القرآن: ۱۳۳، الغدیر ۵: ۱۵۴.

۴- انظر الغدیر ۵: ۱۱۶، کشف الارتیاب: ۳۷۲، الجوهر المنظم فی زیارهٔ القبر المکرم: ۱۲.

ص: ۱۱۲

والحاصل ان الأحاديث التى أوردها الحفاظ والمحدِّثون من السّنة، البالغة حدّ الاستفاضة بل البالغة درجة التواتر، وكذلك فعل الصحابة، وزيارة بلال قبر النبى صلى الله عليه و آله وشدّه الرحال إلى الزيارة بمرأى ومسمع الصحابة وعدم اعتراضهم عليه، وكذلك دعوة الخليفة عمر بن الخطاب كعب الاحبار لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وعدم اعتراض الصحابة فى ذلك. تُعد أقوى حجّة وأسمى دليل على جواز شدّ الرحال إلى المشاهد المشرّفة سيّما قبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، بل تدل على الرجحان والاستحباب إذ فى بعضها ورد الأمر بالزيارة وهو للندب عند الجمهور. وللوجوب عند ابن حزم، ولو مرّة واحدة فى العمر (۱).

۶- الشيخ أحمد القسطلانى: «إعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل الى أعلى الدرجات، ومن إعتقد غير هذا فقد إنخلع من ربقة الإسلام، وخالف اللَّهَ ورسوله وجماعة العلماء الأعلام وقال ايضاً لابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شدّ الرحال للزيارة...» (۲).

زيارة القبور والمشاهد

هذا كلّه بالنسبة إلى زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله، وأمّا زيارة سائر القبور وشدُّ الرحال إليها، فكذلك ممّا لا كلام فى مشروعيتها أيضاً وقد حثّ النبىّ الكريم على زيارتها ورغّب المسلمين فى ذلك، كما قام هو بزيارة

۱- التاج الجامع لُلاصول ۲: ۳۸۲.

۲- المواهب اللّدنية ۳: ۴۰۳ و ۴۰۶.

ص: ۱۱۳

القبور، وزيارة قبر امّه آمنة بنت وهب رضى اللّه عنها، كما ثبت ذلك أيضاً من سيرة المسلمين ودأبهم على زيارة قبور المسلمين.

الأحاديث فى زيارة القبور:

۱- سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه و آله: نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها (۱).

قال الشيخ منصور: فزوروها والأمر للندب عند الجمهور، وللوجوب عند ابن حزم ولو مرّة واحدة فى العمر (۲).

۲- عن النبى صلى الله عليه و آله: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمّد فى زيارة قبر امّه، فزوروها فانّها تذكّر الآخرة.

رواه الخمسة إلّاالبخارى واللفظ للترمذى.

قال: والميّت يأنس بالزائر وينتفع بالدعاء والقرآن وما تسمح به الحال من صدقة، وهذه هى حكمة الزيارة (۳).

۳- عن النبى صلى الله عليه و آله: نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى (۴).

۴- عن النبى صلى الله عليه و آله: إئتوا موتاكم فسلّموا عليهم، أو- صلّوا- شك فإنَّ بهم عبرة (۵).

۱- صحيح مسلم ۳: ۶۵، سنن النسائى ۴: ۸۹، مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۰ الرقم ۱۳۸۵.

۲- التاج الجامع للُاصول ۱: ۳۸۱، جامع الاصول ۱۱: ۴۳۸.

۳- المصدر نفسه.

۴- مسند أحمد ۲: ۳۳۷، انظر موسوعة أطراف الحديث ۱۰: ۱۸۱.

۵- أخبار مكة ۲: ۵۲.

ص: ۱۱۴

۵- كان النبی يأتی قبور الشهداء، عند رأس الحول فيقول:

السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبی الدار، وجاءها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فلما قدم معاوية حاجّاً جاءهم، قال: وكان النبی صلی الله عليه و آله إذا واجه الشِّعب، قال: سلام عليكم بما صبرتم (۱).

۶- عن عائشة: كان رسول اللَّه صلی الله عليه و آله كلّما كانت ليلتين يخرج من آخر الليل إلی البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنّا إن شاء اللَّه بكم لاحقون اللهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد (۲).

۷- عن ابن مسعود عن النبی صلی الله عليه و آله: ألا فزوروا القبور فانّها تزهّد فی الدنيا وتذكّر الآخرة (۳).

۸- عن أنس عن النبی صلی الله عليه و آله: نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فأنَّها تذكّركم الموت (۴).

۹- عن النبی: إنی نهيتكم عن زيارة القبور، فمن شاء منكم أن يزور قبراً فليزره فانّه يرق القلب ويدمع العين ويذكّر الآخرة (۵).

۱۰- طلحة بن عبداللَّه: خرجنا مع رسول اللَّه صلی الله عليه و آله يريد قبور

۱- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲.

۲- وفاء الوفاء ۳: ۸۸۳ عن مسلم ۳: ۶۳، والنسائی، السنن الكبری ۴: ۱۳۲.

۳- سنن ابن ماجة ۱: ۵۰۱، مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۱، أخبار مكة ۴: ۵۳.

۴- مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۱ الرقم ۱۳۸۸.

۵- مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۳، الرقم ۱۳۹۴، الجنائز، انظر مجمع الزوائد ۳: ۵۸.

ص: ۱۱۵

الشهداء فلما جئنا قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا (۱).

۱۱- عن عائشة، عن النبی صلی الله علیه و آله ان جبرئیل أتانی... فقال إن ربّک یأمرک أن تأتی أهل البقیع فتستغفر لهم» (۲)

فعل الصحابة والتابعين

۱- عن أبی جعفر علیه السلام: ان فاطمة بنت رسول اللّه کانت تزور قبر حمزة رضی اللّه تعالی عنه، ترمّهُ وتصلحه وقد تعلّمته بحجر (۳).

۲- روی رزین عنه أن فاطمة- رضی اللّه عنها- کانت تزور قبور الشهداء بین الیومین والثلاثة (۴).

۳- رواه یحیی بنحوه عن أبی جعفر علیه السلام عن علی بن الحسین علیه السلام وزاد: فتصلی هناک وتدعو وتبکی حتی ماتت (۵).

۴- عن علی علیه السلام: إنّ فاطمة کانت تزور قبر عمّها حمزة کل جمعة فتصلّی وتبکی عنده (۶).

۵- ابن أبی ملیکة: رأیت عائشة تزور قبر أخیها عبدالرحمن

۱- سنن أبی داود ۳: ۲۱۶، السنن الکبری ۴: ۱۲۷، ومن طریق العطاف: إن النبی زار قبور الشهداء باحد وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲.

۲- السنن الکبری ۴: ۱۳۲.

۳- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۲، السنن الکبری ۴: ۱۳۱، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۳، وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲، انظر الغدیر ۵: ۱۶۷.

۴- المصدر نفسه.

۵- المصدر نفسه.

۶- المصدر نفسه.

ص: ۱۱۶

ومات بالحبشی وقُبر بمکة (۱).

۶- وقال: إن عائشة أقبلت ذات‌یوم من‌المقابرفقلت لها أ‌لیس کان رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله نهی عن زیارة القبور؟ قالت: نعم کان نهی ثم أمر بزیارتها (۲).

۷- روی البیهقی عن هاشم بن محمد العمری من ولد عمر بن علی قال: أخذنی أبی بالمدینة إلی زیارة قبور الشهداء فی یوم جمعة بین الفجر والشمس، فکنت أمشی خلفه فلما انتهی إلی المقابر رفع صوته، فقال: سلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار. قال: فاجیب وعلیک السلام یا أبا عبداللّه، فالتفت أبی إلیَّ فقال: أنت المجیب؟ فقلت: لا، فجعلنی عن یمینه ثم أعاد السلام، ثم جعل کلّما سلم یُرَّد علیه، حتی فعل ذلک ثلاث مرّات. فخرَّ ساجداً شکراً للّه (۳).

۸- عن یحیی عن العطاف قال: حدّثتنی خالة لی، وکانت من العوابد قالت: رکبت یوماً معی غلام حتی جئت إلی قبر حمزة، فصلّیت ماشاء اللّه ولا واللّه ما فی الوادی داع ولا مجیب یتحرّک وغلامی قائم آخذ برأس دابتی. فلما فرغت من صلاتی قمت فقلت: السلام علیکم، وأشرت بیدی فسمعت ردّ السلام علیَّ من تحت الأرض، أعرفه کما أعرف أن اللّه خلقنی وأقشعرت کل شعرة منّی، فدعوت الغلام، فقلت:

هات دابتی فرکبت (۴).

۱- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۰.

۲- السنن الکبری ۴: ۱۳۱.

۳- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۳.

۴- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲.

ص: ۱۱۷

القبور المقصودة بالزيارة

هناك قبور للصحابة وغيرهم من الصالحين والمؤمنين، جرت سيرة المسلمين قديماً وإلى يومنا هذا فى زيارتها والتوسّل والتبرّك بها..

وفيما يلى نبذة منها:

۱- قبر بلال بن حمامة الحبشى، مؤذّن رسول اللّه صلى الله عليه و آله المتوفى عام ۲۰ ه بدمشق، وفى رأس القبر تاريخ باسمه، والدعاء فى هذا الموضع المبارك مستجاب، قد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم (۱).

۲- قبر سلمان الفارسى المتوفّى عام ۳۶ ه.

قال الخطيب البغدادى: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى، عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع وعمارته والنظر فى أمر مصالحه، وقد رأيت الموضع وزرتُه غير مرّة (۲).

وقال ابن الجوزى: قال القلانسى وسمنون: زرنا قبر سلمان وانصرفنا (۳).

۳- قبر أبى أيوب الأنصارى المتوفّى عام ۵۲ بالروم.

قال الحاكم: يتعاهدون قبره و يزورونه و يستسقون به إذا قحطوا (۴).

۴- مشهد رأس الحسين عليه السلام بمصر

۱- رحلة ابن جبير: ۲۲۹، انظر الغدير ۵: ۱۸۴.

۲- تاريخ بغداد ۱: ۱۶۳.

۳- المنتظم ۱۲: ۲۴۱.

۴- مستدرك الحاكم ۳: ۵۱۸ الرقم ۵۹۲۹، صفة الصفوة ۱: ۴۷۰.

وفى رحلة ابن بطوطة ۱: ۱۸۷ عن قبر طلحة وعليه قبة ومسجد والناس يعظّمونه.

ص: ۱۱۸

قال ابن جبير المتوفّى عام ۶۱۴ ه: «هو فى تابوت فضّة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به.. ومن أعجب ما شاهدناه فى دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلّها كأنّه المرآة الهندية.. وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسّحهم بالكسوة التى عليه، وطوافهم حوله، مزدحمين داعين باكين متوسّلين إلى اللّه سبحانه ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين بما يذيب الأكباد، ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول، نفعنا اللّه ببركة ذلك المشهد الكريم.. (۱).

۵- قبر عمر بن عبدالعزيز الأموى المتوفى ۱۰۱ ه

وقبره بدير سمعان (۲) يزار (۳).

۶- الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المدفون بالكاظمية، الشهيد عام ۱۸۳ ه.

قال الخطيب... سمعت الحسن بن إبراهيم- شيخ الحنابلة فى عصره- يقول: ما همّنى أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلّا سهّل اللّه تعالى لى ما أحبّ (۴).

۱- رحلة ابن جبير: ۱۹.

۲- وهو دير بنواحى دمشق معجم البلدان ۲: ۵۸۶.

۳- تاريخ الإسلام حوادث سنة ۱۰۰ ص ۲۶، تذكرة الحفاظ ۱: ۱۲۱.

۴- تاريخ بغداد ۱: ۱۲۰، انظر البداية والنهاية ۵: ۸۸.

ص: ۱۱۹

قال ابن عماد: «توفی ببغداد أبو جعفر محمد الجواد.. ودفن عند جدّه موسی ومشهدهما ینتابه العامة بالزیارة» (۱).

۷- قبر الإمام الرضا علیه السلام:

قال محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحدیث ابن خزیمة وعدیله أبی علی الثقفی مع جماعة من مشایخنا وهم إذ ذاک متوافرون إلی علی بن موسی الرضا بطوس، قال: فرأیت من تعظیمه- یعنی ابن خزیمة- لتلک البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحیرنا (۲).

۸- محمد بن إدریس الشافعی:

إمام الشافعیة المتوفی ۲۰۴ ه دفن بالقرافة الصغری وقبره یزار بها بالقرب من المقطم (۳).

۹- أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المتوفی ۲۴۱ ه.

قال الذهبی: ضریحه یزار ببغداد (۴).

۱۰- أبو حنیفة إمام الحنفیة المتوفی ۱۵۰ ه

وقبره فی الأعظمیة ببغداد مزار معروف (۵).

عن الشافعی: وأجیيء إلی قبره کل یوم زائراً (۶).

۱- شذرات الذهب ۳: ۹۷.

۲- وفیات الأعیان ۴: ۱۶۵، تهذیب التهذیب ۷: ۳۳۹.

۳- المصدر نفسه.

۴- میزان الاعتدال ۱: ۱۱۴.

۵- تاریخ بغداد ۱: ۱۲۳.

۶- المصدر نفسه.

ص: ۱۲۰

۱۱- قبر ذی النون المصری المتوفی عام ۲۴۶ ه دفن بالقرافة وعلی قبره مشهد مبنی.. زُرته غیر مرّة (۱).

۱۲- قبر إسماعیل بن یوسف الدیلمی.

قال المعافی: الناس یزورون قبره وراء قبر معروف الکرخی، وبینهما قبور یسیرة، وقد زرتُه مراراً (۲).

۱۳- قبر مصعب بن الزبیر المتوفی عام ۱۵۷ ه

قال ابن الجوزی: زارت العامة قبره بمسکن (۳) کما یزار قبر الحسین علیه السلام (۴).

أقول: أین الثری من الثریا، وأین «السفاک للدماء المتمنی إمرة العراق (۵)» وأین سیّد شباب أهل الجنّة!!

۱۴- لیث بن سعد الحنفی إمام مصر، المتوفی عام ۱۷۵ ه

دفن بالقرافة الصغری، وقبره یزار رأیته غیر مرّة (۶).

۱۵- قبر أبی عوانه علیه مشهد مبنی بأسفرائین یزار وهو بداخل المدینة (۷).

۱- وفیات الأعیان ۱: ۳۱۸.

۲- صفة الصفوة ۲: ۴۱۳.

۳- موضع قریب من أوانا علی نهر دجیل عند دیر الجاثلیق به کانت الوقعة بین عبدالملک بن‌مروان ومصعب بن الزبیر عام ۷۲ فقُتِل مصعب وقبره هناک معروف. معجم البلدان ۵: ۱۲۷.

۴- المنتظم ۱۵: ۱۴.

۵- انظر سیر أعلام النبلاء ۴: ۱۴۱.

۶- الجواهر المضیئة ۲: ۷۲۰ الرقم ۱۱۳۱.

۷- تذکرة الحفاظ ۳: ۷۸۰ رقم الترجمة ۷۷۲.

ص: ۱۲۱

۱۶- وقال ابن عساكر: إنّ قبر أبى عوانه باسفرائين مزار العالم ومتبرك الخلق.. (۱).

قال ابن الصفار الاسفراينى: «كان جدّى إذا وصل إلى مشهد الاستاذ- أبى إسحاق- رأيته لا يدخله احتراماً، بل كان يقبّل عتبة المشهد وهى مرتفعة بدرجات، ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير، ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم عظيم الهيبة، وإذا وصل إلى مشهد أبى عوانه كان أشدّ تعظيماً له وإجلالًا وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك» (۲).

۱۷- قبر الحافظ أبى الحسن العامرى المتوفى عام ۴۰۳ ه

عكف الناس على قبره ليالى يقرؤون القرآن ويدعون له وجاء الشعراء من كل اؤب يرثُون ويترحمون (۳).

۱۸- قبر المعتمد على اللّه، المتوفى عام ۴۸۸ ه

وهو أبو القاسم محمد بن المعتضد اللخمى الأندلسى، اجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدايح.. فرثوه بقصايد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر رثاه بقصيدة

۱- وفيات الأعيان ۶: ۳۹۴، انظر الأنساب للسمعانى ۳: ۴۸۴ حيث يقول: زرت قبره- سير أعلام النبلاء ۱۴: ۴۱۹.

۲- المصدر نفسه.

۳- البداية والنهاية ۱۱: ۳۷۵.

هو صاحب الأندلس بعد أبيه وقاتل ملك الفرنج واستأصل جمعهم ثم بعد ذلك هاجت الفتنة بأندلس فأُسر ثم قتل سير أعلام النبلاء ۱۹: ۶۳.

ص: ۱۲۲

منها:

قَبّلْتُ فی هذا الثری لک خاضعاً وجعلتُ قبرک موضع الإنشاد

ولما فرغ من إنشادها، قبّل الثری ومرَّغ جسمه وعفَّر خدّه فأبکی کلَّ من حضر (۱).

۱۹- قبر نصر بن إبراهیم المقدسی المتوفی ۴۹۰ ه

شیخ الشافعیة، توفی بدمشق ودفن بباب الصغیر، وقبره ظاهر یزار (۲).

۲۰- القاسم بن فیره الشاطبی: المتوفی ۵۹۰ ه

دفن بالقرافه وقبره مشهور معروف یقصد للزیارة وقد زرته مرّات (۳).

۲۱- قبر أحمد بن جعفر الخزرجی البستی نزیل مراکش ت ۶۰۱ ه

قال صاحب نیل الابتهاج:.. وإلی الآن مازال الحال علی ما کان علیه من روضته من ازدحام الخلق علیها وقضاء حوائجهم وقد زرتُه ما یزید علی خمسمائة مرّة، وبتُّ هناک ما ینیف علی ثلاثین لیلة (۴).

۲۲- قبر سفیان الثوری: قال ابن حبان: «وقبره- أی سفیان-

۱- المواهب اللدنیة ۳: ۳۹۰، شذرات الذهب ۵: ۳۸۸.

۲- المواهب اللدنیة ۳: ۳۹۶، شذرات الذهب ۲: ۳۹۷، انظر العبر ۲: ۳۶۳.

۳- طبقات القراء ۲: ۲۲.

۴- نیل الابتهاج: ۶۲.

ص: ۱۲۳

فی مقبرة بنی کلیب بالبصرة وقد زرته» (۱).

من هو ابن حبان؟

هو «الإمام العلّامة الحافظ، المجوِّد شیخ خراسان کما عن الذهبی، وکان من فقهاء الدین وحفّاظ الآثار، وصنّف المسند الصحیح وفقّه الناس بسمرقند کما قاله الادریسی.

وهو من أوعیة العلم فی الفقه واللغة والحدیث والوعظ ومن عقلاء الرجال کما عن الحاکم النیسابوری.

وکان ثقة نبیلًا فهماً» کما عن الخطیب البغدادی (۲).

ومن أعلام القرن الثالث. فمن کان بهذه المرتبة من العلم والفضل والفقه- علی ما قالوا- تراه یشد الرحال لزیارة القبور، ولایراه شرکاً وحراماً کما زعمه الوهابیة، وقد تعرضنا لترجمته سابقاً.

هذا مختصر ممّا ورد فی کتب التراجم والتواریخ والحدیث، من:

زیارة القبور، ومضی علی ذلک الصحابة والتابعون، فانّهم کانوا یعظّمون قبر النبی الکریم ویقصدونه للزیارة، وکذلک قبور الأئمّة الطاهرین، والصالحین والأولیاء والعلماء، فقد کانت تشدّ الرحال إلیها من دون أن ینکر ذلک أحد.

وبعد هذه الشواهد والنصوص: ما هی حجّة ابن تیمیة ومن یقول بمزاعمه، فی حرمة زیارة القبور وشدّ الرحال إلیها؟!

۱- کتاب الثقات ۶: ۴۰۲، الأنساب ۱: ۵۱۷.

۲- سیر أعلام النبلاء ۱۶: ۹۲.

ص: ۱۲۴

وما ذنب الشيعة الإمامية لو عملت بمقتضى السنّة الشريفة، وسلكت سيرة المسلمين فى زيارة القبور؟!

هل كانت القبور المقصودة كلّها قبوراً للإماميّة؟! وهل الزائرون لها كانوا كلّهم شيعة اثنى عشرية؟! هل كان ابن خزيمة وعديله الثقفى من الشيعة؟ وهل شيخ الحنابلة كان شيعياً حيث يزور قبر الكاظم عليه السلام؟

وهل كان ابن حبان شيعياً حيث يزور قبر الرضا عليه السلام؟ أم هل كان الشافعى محمد بن إدريس شيعياً وهو يزور قبر أبى حنيفة كل يوم؟

وهل كانت عائشة من شيعة على عليه السلام وهى تزور قبر أخيها عبدالرحمن بمكّة؟!

رأى فقهاء السنّة:

۱- العسقلانى: فانّه بعد أن نقل حديث أنس «مرّ النبى صلى الله عليه و آله بأمراة تبكى عند قبر فقال: اتقى اللّه واصبرى..

قال: واستدل به على زيارة القبور، سواء كان الزائر رجلًا أو امرأة، وسواء كان المزور مسلماً أو كافراً لعدم الاستفصال فى ذلك..

۲- قال النووى: وبالجواز قطع الجمهور. وقال صاحب الحاوى، أى الماوردى: لاتجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط.

وحجّة الماوردى قوله تعالى: ولاتقم على قبره وفى الاستدلال بذلك نظر لايخفى.

قال: وبالجملة: فتستحب زيارة قبور المسلمين للرجال لحديث مسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكِّر الآخرة.

ص: ۱۲۵

۳- وسُئل مالك عن زيارة القبور؟ فقال: قد كان نهى عنه، ثم أذن فيه، فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلّاخيراً لم أرَ بذلك بأساً. (۱)

۴- السمهودى: «أجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى بل قال بعض الظاهرية بوجوبها» (۲).

زيارة النبى صلى الله عليه و آله قبر امّه

وممّا ورد فى زيارة القبور ما رواه مسلم والنسائى عن أبى هريرة:

قال: زار النبى صلى الله عليه و آله امّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربّى فى أن استغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبره فاذن لى فزوروا القبور فانّها تذكّركم الموت (۳).

بحث فى ايمان والدى النبى صلى الله عليه و آله

أقول: والنصوص والشواهد التاريخية كلها تشهد على إيمان والدى الرسول صلى الله عليه و آله حاشاهما من الشرك. كيف ولم يزل يُنقل من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهّرة. كيف والآية الكريمة صريحة أو ظاهرة فى ذلك: وتقلبك فى الساجدين (۴) وقد وردت ذيل هذه الآية الكريمة فى التفاسير:

۱- روى السيوطى عن ابن أبى عمر العدنى فى مسنده والبزار

۱- إرشاد السارى ۳: ۴۰۰.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۶۲.

۳- مسلم ۳: ۶۵، الجنائز، النسائى ۴: ۹۰، مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۲، السنن الكبرى ۴: ۱۲۸.

۴- الشعراء: ۲۱۹.

ص: ۱۲۶

وابن أبی حاتم والطبرانی وابن مردویه والبیهقی فی الدلائل عن مجاهد فی قوله وتقلّبک فی الساجدین قال: من نبی إلی نبی حتی اخرجت نبیّاً» (۱).

۲- وروی أیضاً: عن ابن أبی حاتم وابن مردویه وأبی نعیم فی الدلائل عن ابن عباس فی قوله: وتقلّبک فی الساجدین قال: ما زال النبی صلی الله علیه و آله یتقلّب فی أصلاب الأنبیاء حتی ولدته امّه (۲).

۳- وأخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال: سألت رسول اللّه فقلت: بأبی أنت وامّی أین کنت وآدم فی الجنّة؟ فتبسّم حتّی بدت نواجذه ثم قال: انّی کنت فی صلبه وهبط إلی الأرض وأنا فی صلبه ورکبت السفینة فی صلب أبی نوح وقذفت فی النار فی صلب أبی إبراهیم لم یلتق أبوای قط علی سفاح لم یزل اللّه ینقلنی من الأصلاب الطیّبة إلی الأرحام الطاهرة مصفّیً مهذّباً لا تتشعّب شعبتان إلّاکنت فی خیرهما قد أخذ اللّه بالنبوّة میثاقی وبالإسلام هداتی وبیَّن فی التوراة والإنجیل ذکری وبیّن کلَّ شیءٍ من صفتی فی شرق الأرض وغربها وعلّمنی کتابه ورقی بی فی سمائه وشق لی من أسمائه فذوالعرش محمود وأنا محمد ووعدنی أن یحبونی بالحوض وأعطانی الکوثر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ثم أخرجنی فی خیر قرون امّتی، وامتی الحمّادون یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر» (۳).

۱- الدر المنثور ۵: ۹۸.

۲- الدر المنثور ۵: ۹۸.

۳- الدر المنثور ۵: ۹۸.

ص: ۱۲۷

إذن فالآيـة الشـريفة، وقوله صـلى الله عليه و آله فى الحـديث الأخير: «لم يلتقِ أبواى قط على سـفاح، لم يزل اللَّه ينقلنى من الأصـلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، مصـفىً مهذّباً..» كاشـفان تماماً عن طهارة آباء وامّهات الرسول صلى الله عليه و آله من دنس ونجس، فهم مبرّأون من الشرك لأن المشركين نجس.

إذن فآمنة بنت وهب رضوان اللَّه تعالى عليها كانت موحِّدة مؤمنة وحنيفية غير مشركة وعلى هذا تكون الرواية الماضية التى رواها كلّ من مسلم والنسائى عن أبى هريرة هى إحدى الإساءات إلى والدىّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ولذا نرى بعض المنصفين من الشرّاح لهذا الحديث قاموا بتأويلات تنبئ عن أن فطرتهم السليمة تأبى قبول هذه المضامين:

قـال الشـيخ منصور: «وهـذا لاـ ينافى دخولها الجنّـة، فإنّها من أهل الفترة، والجمهور على أنّهم ناجون.. بل قـد ورد وصـح عنـد أرباب الكشف: أن اللَّه تعالى أحيا أبوى النبى بعد رسالته فآمنا به، فلهذا كانا من أهل الجنّة» (۱).

أقول: ثم إنّ هذا التفسير لهذه الآية لم يختص بالشيعة (۲) الإمامية

۱- التاج الجامع لُلاصول ۱: ۳۸۲.

۲- قال الزمخشرى:... فالآية دليل على ثبوت الايمان والتوحيد بالنسبة إلى آباء النبى صلى الله عليه و آله وأجداده الكرام وانّهم ينقلون من الأصـلاب الساجـدة الطـاهرة إلى الأرحام الساجـدة المطهّرة. انظر كتاب: أبو طالب وبنوه: ۲۱۹ للسـيّد على خان، منيـة الراغب: ۵۶ للمرحوم آية اللَّه الطبسى.

ص: ۱۲۸

ولا هم الذين تفردوا بنقل رواياتها، بل كما رأيت رواه السيوطى عن ابن أبى حاتم وابن مردويه وأبى نعيم والعدنى، والبزار والطبرانى، عن مجاهد وابن عباس (۱) فلاوجه لما نسبه الرازى (۲) فى تفسيره إلى خصوص الشيعة (۳).

۱- انظر الميزان ۱۵: ۳۶۷.

۲- التفسير الكبير ۲۴: ۱۷۳.

۳- أضف إلى قوّة دليلهم: وذلك لأن الآية فيها وجوه:

۱- المراد ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه بالتهجّد وتقلّبه فى تصفح أحوال المجتهدين ليطلع على أسرارهم.

۲- المعنى: يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلّبه فى الساجدين: أى تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذ كان إماماً لهم.

۳- المعنى انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلّبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين.

۴- المراد: تقلّب بصره فيمن يصلّى خلفه، من قوله عليه السلام: أتمّوا الركوع والسجود فواللّه انى لأراكم من خلفى.

أقول: كما ان الآية الشريفة تحتمل هذه الوجوه الأربعة ولا دليل على وجه دون آخر. كذلك يحتمل فيه وجه خامس: يعاضده روايات من السنة ومن طرق الخاصّة أيضاً: وهو: أن يكون المراد ان اللّه تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد. فيحمل الآية على كل هذه الوجوه من دون رجحان وذلك لأن النبى صلى الله عليه و آله يقول: لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات. مع ان الكافر نجس انّما المشركون نجس فكيف يجتمع النجاسة والشرك، مع طهارة الصلب والرَحِم؟

فلابد وأن يكون والدا النبى مسلمين.

فإن قلت: قوله تعالى: وإذ قال إبراهيم لابيه ازر دليل على كفر آباء النبى.

قلنا: يطلق الأب على العم كما فى الآية الشريفة: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فسمى أبناء يعقوب، إسماعيل أباً ليعقوب، مع انّه عمٌ له.

إن قلت: إن حمل الآية على جميع الوجوه غير جائز.

قلنا: أولًا: انها على المبنى من جواز استعمال اللفظ فى أكثر من معنى واحد.

ثانياً: حتى ولو اخترنا هذا المبنى الاصولى، لكن لا ينفى الاحتمال الخامس، ولا يثبت سائر الاحتمالات.

ص: ۱۲۹

الشیء یذکر بالشیء:

ومع الأسف وقع نظیر هذا البحث والخلط فی حامی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وناصره سیّدنا أبی طالب علیه السلام. فکل من یقف علی مواقفه البطولیة وأشعاره وخطاباته، یذعن بأنّه مؤمن وموحِّد ومعتقد بالنبیّ صلی الله علیه و آله وبرسالته، ولکن العصبیة الأمویة والنزعة الخیبریة، والأحقاد تمنع من التصریح بالحق، والتفوّه بما هو الواقع: وأن أبا طالب مات مؤمناً وموحِّداً.

وفیما یلی کلام غریب لابن کثیر: «قلت.. وقد قدمنا ما کان یتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فیه من الممادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودّة والمحبّة والشفقة فی أشعاره التی أسلفناها وما تضمّنته من العیب والتنقیص لمن خالفه وکذّبه بتلک العبارة الفصیحة البلیغة الهاشمیة المطلبیة التی لا تدانی ولا تسامی، ولایمکن عربیاً مقاربتها ولا معارضتها، وهو فی ذلک کلّه یعلم أن رسول اللَّه صادق بار راشد، ولکن مع هذا لم یؤمن قلبه..» (۱).

۱- البدایة والنهایة ۱۱: ۱۲۴.

ص: ۱۳۰

انظر إلی هـذه العصبیهٔ من ابن کثیر، فکأنَّه کان فی قلب أبی طالب، فعرف ما فیه!! أو کأنّه- والعیاذ باللَّه- یعلم خائنهٔ الأعین وما تُخفی الصدور!

فتراه یعترف لأبی طالب بأنّه صدَّق النبی صلی الله علیه و آله ولکن لا بقلبه!!

نعم؛ وما نَقَم ابن کثیر وأضـرابه من أبی طالب علیه السـلام إلّاأنّه والـد علی علیه السـلام، ولو کان والد معاویهٔ، لکان حَظّهُ أکثر وأکبر من حظِّ أبی سفیان ونصیبه من الثناء المکذوب والمناقب المفتریات.

ص: ۱۳۱

الفصل الخامس: زيارة النساء للقبور

اشارة

زيارة النساء

للقبور

۱- فاطمة الزهراء تزور قبر حمزة

۲- عائشة تزور قبر أخيها

۳- مناقشة حديث زوارات القبور

۴- فتوى علماء السنّة على الجواز

۵- كلام القسطلانى ذيل رواية أنس

۶- مناقشة طرق الحديث

ص: ١٣٢

ص: ۱۳۳

لقد ورد عن فاطمة الزهراء عليها السلام انّها كانت تزور قبر حمزة سيّد الشهداء وسائر شهداء احد كل جمعة، أو بالاسبوع مرّتين وهذا كان على عهد أبيها صلى الله عليه و آله، ثم بعد أبيها إلى أن توفيت. ولم يرد نهى لها لا من النبى صلى الله عليه و آله ولا من على عليه السلام ولا من أيٍ من الصحابة، وهى أعرف بدين أبيها من غيرها. فزارت القبور مرّات عديدة.

«كانت فاطمة تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة فتصلّى وتبكى عنده» (۱).

وفى رواية: كانت تزور قبور الشهداء باحد بين اليومين والثلاثة، فتصلّى هناك وتدعو وتبكى (۲).

كما ورد عن عائشة انّها كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن بمكة:

۱- قال ابن أبى مليكة: ورأيت عائشة تزور قبر أخيها

۱- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۲ و ۵۷۴، السنن الكبرى ۴: ۱۳۱.

۲- السنن الكبرى ۴: ۱۳۱، مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۳.

ص: ۱۳۴

عبدالرحمن بن أبی بکر، ومات بالحُبشی (۱) وقُبِرَ بمکة (۲).

۲- وقال أیضاً: إنّ عائشة أقبلت ذات یوم من المقابر، فقلت لها:

ألیس کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله نهی عن زیارة القبور؟ قالت: کان نهی ثم أمرَ بزیارتها (۳).

مناقشة الحدیث المروی:

واما ما نقل عن النبی صلی الله علیه و آله قال: لعن اللّه زائرات القبور (۴).

أولًا ففیه مضافاً إلی انه منسوخ بحدیث بریدة کما صرّح بذلک الحاکم والذهبی انه معارض بما روته عائشة عن النبی صلی الله علیه و آله: نهی رسول اللّه صلی الله علیه و آله عن زیارة القبور ثم أمرَ بزیارتها (۵). وصحّحه الذهبی فی حاشیة المستدرک وقال: الحدیث صحیح.

ثانیاً: معارض بفعل عائشة أیضاً حیث کانت تزور قبر أخیها عبدالرحمن، فانّه مات فُجأة سنة ۵۳ للهجرة بجبل بقرب مکة فأدخلته الحرم ودفنته (۶). فهل کانت عائشة ترید مخالفة سنّة رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فتستحق «اللعن» کما فی هذا الحدیث!!

ثالثاً: انّه مخالف لما ثبت عن فعل فاطمة علیها السلام من زیارتها لقبر

۱- جبل بأسفل مکة علی ستّة أمیال، معجم البلدان ۲: ۲۱۴.

۲- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۰.

۳- السنن الکبری ۴: ۱۳۱.

۴- رواه أصحاب السنن، غیر البخاری ومسلم، انظر مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۶۹.

۵- السنن الکبری ۴: ۱۳۱، الحاکم ۱: ۳۷۴.

۶- وفیات الاعیان ۳: ۶۹.

ص: ۱۳۵

النبى صلى الله عليه و آله بعد دفنه وزيارة قبر حمزة والشهداء كل جمعة أو كل اسبوع مرّتين فهل ترى فاطمة تريد مخالفة سنّة ثابتة عن النبى صلى الله عليه و آله؟! أو انها- نعوذ باللّه- غير عارفة بالسنّة؟! وأهل البيت أدرى بما فى البيت مع أن زيارتها قبور شهداء احد كانت على عهد النبى صلى الله عليه و آله واستمرّت الزيارة سبع سنوات من حياة النبى صلى الله عليه و آله فكيف لم ينهها النبى صلى الله عليه و آله؟

وكذلك زارت قبر النبى صلى الله عليه و آله بعد وفاته؛ فعن على عليه السلام: «لما رمس رسول اللّه صلى الله عليه و آله جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره صلى الله عليه و آله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول... (۱).

فكيف لم يعارضها على عليه السلام ولا أحد من الصحابة إن كانت زيارة النساء للقبور محرّمة.

رابعاً: ان فتوى علماء السنة على الجواز وأمّا اللعن يفيد تحريم زيارتهن لقلّة صبرهن، وإلّا فزيارة النساء للقبور بشرط الصبر جائزة، كما فى التاج:

۱- «واللعن يفيد تحريم زيارتهن لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن وكل حديث يحرِّم خروجهن للجنازة أو زيارتهن للقبور فمحمول على ذلك، وإلّا فزيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج. وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة، لعموم الحديث الأوّل (۲). ولقول عائشة فى الحديث الثانى: كيف أقول؟ قال:

۱- إرشاد السارى ۳: ۳۵۲.

۲- كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمّد فى زيارة قبر امّه فزوروها فانّها تذكِّر الآخرة، رواه الخمسة إلّاالبخارى واللفظ للترمذى.

ص: ۱۳۶

قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم اللّه (۱)...

ولزيارة عائشة لقبر أخيها عبدالرحمن، فلما اعترضها عبداللّه، قالت: نهى رسول اللّه عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها» (۲).

۲- قال الملّا على قارى: «ظاهر هذا الحديث- نهيتكم عن زيارة القبور فزورها- العموم، لأن الخطاب فى «نهيتكم» كما انّه عام للرجال والنساء على وجه التغليب أو أصالة الرجال فكذلك الحكم فى- فزوروها-. مع ان ما قيل من ان الرخصة عامة لهنّ. فهذه الأحاديث بتعليلاتها تدل على انّ النساء كالرجال فى حكم الزيارة. إذا زِرْنَ بالشروط المعتبرة فى حقهنّ، ويؤيّده الخبر السابق انّه عليه الصلاة والسلام، مرَّ بالمرأة فأمرها بالصبر، ولم ينهها عن الزيارة..» (۳).

۳- وقال ابن عبدالبر: «احتج من أباح زيارة القبور للنساء بما حدّثناه عبداللّه بن محمد، قال: حدّثنا عبدالحميد... عن ابن أبى مليكة إنّ عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا امّ المؤمنين من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخى عبدالرحمن، فقلت لها: أليس كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان نهى عن زيارتها ثم أمرَ بزيارتها (۴).

وعن ابن أبى مليكة: قال: زارت عائشة قبر أخيها فى هودج.

۱- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۱.

۲- التاج الجامع للُاصول ۲: ۳۸۱.

۳- مرقاة المفاتيح ۴: ۲۴۸.

۴- وقد صحّح الذهبى هذا الحديث، انظر مستدرك الحاكم ۱: ۳۷۶.

ص: ۱۳۷

قال أبو بكر: وحدّثنا مسرد، قال: حدّثنا نوح بن دراج، عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال: كانت فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله تزور قبر حمزة بن عبدالمطلب كلَّ جمعة وعلَّمته بصخرة (۱).

كلام القسطلانى ذيل رواية أنس:

«مرّ النبيّ صلى الله عليه و آله بامرأة تبكى عند قبر فقال: إتقى اللّه واصبرى، قالت: إليك عنّى، فانّك لم تُصب بمصيبتى ولم تعرفه...».

فإن قلت: من أين تؤخذ مطابقة الحديث للترجمة؟ أجيب:

من حيث انّه صلى الله عليه و آله لم ينه المرأة المذكورة عن زيارة القبور سواء كان الزائر رجلًا أو امرأة، وسواء كان المزور مسلماً أو كافراً لعدم الاستفصال فى ذلك.

قال النووى: وبالجواز قطع الجمهور...

وقال: وبالجملة: فتستحب زيارة قبور المسلمين للرجال، لحديث مسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكِّر الآخرة.

.. وتكرة للنساء لجزعهن. وأما حديث أبى هريرة المروى عند الترمذى، وقال حسن صحيح: لعن اللّه زوارات القبور، فمحمول على ما إذا كانت زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن.

وقال القرطبى: وحمل بعضهم حديث الترمذى فى المنع على من

۱- تمهيد شرح الموطا ۳: ۲۳۴.

ص: ۱۳۸

تكثر الزيارة لأن زوارات للمبالغة (۱).

والحاصل: إن زيارة النساء للقبور جائز عند القسطلانى لكن على كراهية، واما رواية اللعن، فمحمول على ما كان فيه التعديد والنوح..

۴- قال ابن عبدالبر- بعد نقل هذه الأحاديث- قال أبو بكر:

وسمعت أبا عبداللّه- يعنى أحمد بن حنبل- يُسئل عن المرأة تزور القبر، فقال: أرجو إن شاء اللّه أن لا يكون به بأس.

عائشة زارت قبر أخيها. قال: ولكن حديث ابن عباس: إنّ النبى لعن زوارات القبور».

ثم قال: هذا أبو صالح ماذا؟ كأنه يضعفه، ثم قال: ارجو إن شاء اللّه أن عائشة زارت قبر أخيها (۲).

۵- الحافظ الألبانى: فانّه أورد حديث «لعن رسول اللّه زائرات القبور». ثم قال: فلم نجد فى الأحاديث ما يشهد له، فهذا القدر من الحديث (لعن اللّه المتخذين عليها السرج، ضعيف وان لهج اخواننا السلفيون بالاستدلال به، ونصيحتى إليهم أن يمسكوا عن نسبته إليه لعدم صحّته (۳).

۶- قال ابن عابدين، المتوفى عام ۱۲۵۳:

«هل تستحب زيارة قبره صلى الله عليه و آله للنساء؟ الصحيح: نعم بلا كراهة بشروطها على ما صرّح به بعض العلماء، أمّا على الأصحّ من مذهبنا

۱- إرشاد السارى ۳: ۴۰۰.

۲- التمهيد فى شرح الموطا ۳: ۲۳۴.

۳- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السلبى فى الامة: ۲۶۰.

ص: ۱۳۹

وهو قول الكرخی وغيره: من ان الرخصة فی زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً فلا إشكال، واما علی غيره فذلك نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب. بل قيل: واجبة، ذكره فی شرح اللباب» (۱).

۷- قال الترمذی: «هذا حديث حسن صحيح. وقد رأی بعض أهل العلم أنّ هذا كان قَبْلَ أن يُرخِّصَ النبی صلی الله عليه و آله فی زيارة القبور فلما رخّص دخل فی رخصته الرجال والنساء.

وقال بعضهم: إنّما كَرِه زيارة القبور للنساء، لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن» (۲).

۸- القسطلانی: «.. ولا يكره لهن زيارة قبر النبی صلی الله عليه و آله بل تندب، وينبغی كما قال ابن الرفعة والقمولی- أن تكون قبور سائر الأنبياء والأولياء كذلك» (۳).

بحث فی السند:

إنّ حديث لعن رسول اللّه زائرات القبور ورد بطرق ثلاث:

۱- عن حسان بن ثابت.

۲- عن ابن عباس.

۳- عن أبی هريرة.

۱- رد المحتار علی الدرّ المختار ۲: ۲۶۳، انظر الغدير ۵: ۱۲۱.

۲- الجامع الصحيح ۳: ۳۷۲ ذيل باب ۶۲ ح ۱۰۵۶.

۳- إرشاد السارى ۳: ۴۰۰.

ص: ۱۴۰

أ- وقد أورد ابن ماجة الحديث بطرقه الثلاثة (۱).

ب- كما أورد أحمد الحديث بطريقين من الثلاثة:

۱- حسّان بن ثابت (۲).

۲- وطريق أبی هريرة (۳).

ج- كما أورد الترمذی الحديث عن طريق أبی هريرة فقط (۴).

د- وأورد أبو داود الحديث، عن طريق ابن عباس فقط (۵).

واما البخاری ومسلم فلم يخرجا الحديثين بالمرّة، كما ان أصحاب السنن لم يتفقوا على طريق من الطرق، نعم الطريق الثالث: وهو حديث أبی هريرة اتفق عليه ابن ماجه وأحمد والترمذی.

واما الطريق الأوّل: فاتفق عليه ابن ماجة واحمد.

واما الطريق الثانی: ابن عباس: اتفق عليه أبو داود وابن ماجة.

المناقشة فی الطرق:

اما الطريق الأوّل، الذی نقله ابن ماجه وأحمد، والذی ينتهی إلی حسّان بن ثابت، ففی السند: عبداللّه بن عثمان بن خثيم: وأحاديثه ليست بالقوية كما روی ابن الدورقی عن ابن معين ولأبی حاتم فيه رأيان: أحدهما انّه: لا يحتج به. وعن النسائی: انّه ليّن الحديث (۶).

۱- سنن ابن ماجة ۱: ۵۰۲.

۲- مسند أحمد ۳: ۴۴۲.

۳- مسند أحمد ۲: ۳۳۷ و ۳۵۶.

۴- الجامع الصحيح ۳: ۳۷۰.

۵- سنن أبی داود ۳: ۲۱۸.

۶- انظر ميزان الاعتدال ۲: ۴۵۹.

ص: ۱۴۱

وفی الطریق: عبدالرحمن بن بَهمان، ولم یحدث عنه سوی ابن خثیم، وقال ابن المدینی: لا نعرفه (۱).

واما الطریق الثانی، فیه أبو صالح وهو باذان، وقال أبو حاتم:

لایحتج به، وقال النسائی: لیس بثقهٔ، وقال ابن عدی: ولم أعلم أحداً من المتقدّمین رضیه (۲).

اما الطریق الثالث- عن أبی هریرهٔ: ففیه عمر بن أبی سلمهٔ، قال النسائی: لیس بالقوی، وقال ابن خُزیمهٔ: لایحتج بحدیثه.

وقال ابن معین: هو ضعیف.

وقال أبو حاتم: لایحتج به (۳).

فالحدیث بکل طرقه مورد للإشکال السندی، ولعلّه لهذا لم یخرّجهُ الشیخان فی صحیحیهما.

أضف إلی الإشکالات والمعارضات التی أوردناها. وکلام الفقهاء فی شرح الحدیث، وفتواهم فی جواز بل استحباب زیارهٔ القبور للنساء والرجال.

۱- انظر میزان الاعتدال ۲: ۵۵۱.

۲- تهذیب الکمال ۴: ۶.

۳- سیر أعلام النبلاء ۶: ۱۳۳.

ص: ۱۴۲

ص: ۱۴۳

الفصل السادس: الصلاة والدعاء عند القبور

اشارة

الصلاة والدعاء

عند القبور

۱- رأى الوهابية

۲- مناقشة الفكرة

۳- سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام

۴- سيرة المسلمين

۵- تصريحات مخالفة لرأى الوهابية

۶- استقبال القبلة أم القبر الشريف

۷- شرح حديث النهى عن اتخاذ القبور مساجد

۸- فتوى الفقهاء حول الصلاة فيا لمقبرة

ص: ۱۴۴

ص: ۱۴۵

منعت الوهابية الصلاة والدعاء عند القبور وجعلتها شركاً وكفراً.

قال ابن تيمية: «إنّ الصحابة كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبى صلى الله عليه و آله يسلّمون عليه، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا اللّه مستقبلى القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون اللّه كما فى سائر البقاع.. ولهذا لم يذكر أحد من أئمّة السلف أن الصلاة عند القبور وفى مشاهدها مستحبة ولا ان الصلاة والدعاء هناك أفضل منهما فى غيرهما، بل اتفقوا كلّهم على ان الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين، سُميّت مشاهد أم لم تُسمّ» (۱).

والجواب:

أوّلًا: يدل على جواز الصلاة والدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه و آله وقبور سائر الأنبياء والصالحين، عموم ما دلَّ على جواز الصلاة والدعاء فى

۱- رسالة زيارة القبور: ۱۵۹.

ص: ۱۴۶

كل مكان، فالعمومات والاطلاقات تدل على الجواز.

ثانياً: ويدل على رجحان الصلاة والدعاء عند القبور، ما فهم من الشرع من رجحان الصلاة والدعاء ومطلق العبادة فى كل مكان ثبت شرفه فى الشرع، ولاشك فى تشرّف المكان بالمكين (شرف المكان بالمكين) والموجب لتشرّف القبر هو حلول جسده الطاهر فيه.

ثالثاً: ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه و آله قوله تعالى:

ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه.. (۱).

فإنّ كلمة «جاؤوك» شامل لحالتى الحياة والموت، وان حرمته صلى الله عليه و آله حيّاً كحرمته ميّتاً، كما صرّح بذلك الإمام مالك للمنصور فيما مضى من البحث.

يقول شمس الدين الجزرى: «إن لم يُجب الدعاء عند النبى صلى الله عليه و آله ففى أى موضع يستجاب!!؟»

رابعاً: سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام

إنّ فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة فى كل يوم جمعة فتصلّى وتبكى عنده (۲).

قال الحاكم: «هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات وقد استقصيت فى الحث عن زيارة القبور تحرياً للمشاركة فى الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه انها سنّة مسنونة».

۱- النساء: ۶۴.

۲- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۴، الحاكم ۱: ۳۷۷، السنن الكبرى ۴: ۱۳۱، تمهيد شرح موطا مالك لابن عبد البر ۳: ۲۳۴.

ص: ۱۴۷

والملاحظ: أن حمزة استشهد فی العام الثالث للهجرة، وتوفی النبی صلی الله علیه و آله فی العام العاشر. ففاطمة کانت فی هذه الفترة یعنی مدّة سبع سنوات کل یوم جمعة تغادر المدینة متوجهة إلی أُحد تزور قبر حمزة، بمرأی ومنظر من رسول اللّه صلی الله علیه و آله ولم یرد منه نهی لها.

ثم انها عاشت بعد أبیها علی قول السنة (۱) ستّة أشهر، فکذلک کانت تزور القبر- حمزة- بمرأی ومنظر من کل الصحابة ومن علی بن أبی طالب علیه السلام ولم یرد منهم نهی فی شأنها.

وفی روایة: کانت تزور قبور الشهداء بأُحد بین الیومین والثلاثة، فتصلّی هناک وتدعو وتبکی (۲).

تُری هل خفیت السنّة علی فاطمة الزهراء علیها السلام، التی یرضی اللّه لرضاها ویغضب لغضبها (۳)، فجاءت بزیارتها القبور لما یخالف هذه السنّة!!

ولم یخف الأمر علی ابن تیمیة لیتجرّأ فیدّعی أنّه: «لم یذکر أحدٌ من أئمة السلف أنّ الصلاة عند القبور وفی مشاهدها مستحبّة» (۴)!؟

خامساً: سیرة المسلمین

کما ان سیرة المسلمین من زمن رسول اللّه صلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا

۱- سیر أعلام النبلاء ۲: ۱۲۷.

۲- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲، کشف الارتیاب ۲: ۴۸۱.

۳- فتح الباری ۷: ۱۳۱.

۴- زیارة القبور: ۱۵۹.

ص: ۱۴۸

جاریة علی الدعاء والصلاة عند قبور الصالحین والمؤمنین (۱).

۱- عمر بن الخطاب:

«الطبری: «لما خرج عمر حاجّاً فی نفرٍ من أصحابه، فاستغاث به شیخ، فلما انصرف عمر ونزل ذلک المنزل- بالأبواء- واستخبر عن الشیخ، وعرف موته، قال: کأنی أنظر إلی عمر، وقد وثبَ مباعداً ما بین خطاه حتی وقف علی القبر- قبر الشیخ- فصلّی علیه، ثم اعتنقه وبکی» (۲).

۲- الإمام الشافعی: «إنی لأتبرّک بأبی حنیفة وأجیء إلی قبره فی کل یوم فإذا عرضت لی حاجة صلّیت رکعتین وجئت إلی قبره وسألت اللَّه تعالی الحاجة عنده، فما تبعد حتی تقضی» (۳).

۳- قبر معروف الکرخی: «عن الزهری قبر معروف الکرخی مجرّب لقضاء الحوائج، ویقال انّه من قرأ عنده مائة مرّة قل هو اللَّه أحد وسأل اللَّه ما یرید قضی اللَّه حاجته» (۴).

وقال ابراهیم الحربی: قبر معروف: الترياق المجرّب، قال الذهبی:

۱- یری ابن الجزری ان استجابة الدعاء عند قبور الأنبیاء والصالحین تثبت بالتجربة، وأقرّهُ الشوکانی فی تحفة الذاکرین ص ۴۶ ولکن قیده بشروط: انظر سیر أعلام النبلاء ۱۰: ۱۰۷ «الهامش».

۲- الریاض النضرة ۲: ۳۳۰.

۳- صلح الاخوان: ۸۳ للخالدی، الغدیر ۵: ۱۹۲، تاریخ بغداد ۱: ۱۲۳، مفتاح السعادة ۲: ۱۹۳ طاش کبری زاده.

۴- معجم الطبرانی ۱: ۱۲۲، الغدیر ۵: ۱۹۳، تاریخ بغداد ۱: ۱۲۲.

ص: ۱۴۹

یرید إجابة دعاء المضطر عنده، لأن البقاع المبارکة یستجاب عندها الدعاء (۱) وعن أحمد بن الفتح قال: سألت بشراً التابعی الجلیل عن معروف الکرخی؟ فقال: هیهات.. فمن کانت له إلی اللّه حاجة فلیأت قبره ولیدع، فانّه یستجاب له إن شاء اللّه (۲).

وعن ابن سعد: «یستسقی بقبره، وقبره ظاهر یزار لیلًا ونهاراً» (۳).

وعن سبط بن الجوزی: انه سمع مشایخه ببغداد یحکون أنّ عون الدین قال: کان سبب ولایتی المخزن اننی ضاق ما بیدی حتی فقدت القوت أیاماً فأشار علیَّ بعض أهلی أن أمضی إلی قبر معروف الکرخی، فأسالُ اللّه تعالی عنده، فان الدعاء عنده مستجاب (۴). قال:

۱- سیر أعلام النبلاء ۹: ۳۴۳.

۲- صفة الصفوة ۲: ۳۲۴، الغدیر ۵: ۱۹۳.

۳- الطبقات الکبری ۱: ۲۷، وفیات الأعیان: ۵: ۲۳۲.

۴- أقول: إن صحّ ذلک فلعلّه بسبب میله إلی أهل البیت وخدمته للرضا علیه السلام کما حکی عن أبی‌عبدالرحمن السلمی: ان معروف الکرخی کان یحجب علی بن موسی الرضا علیه السلام.

وعن السید الخوئی: عن الشهرزوری فی مناقب الأبرار: ان معروف الکرخی کان من موالی علی بن موسی الرضا علیه السلام، وکان أبواه نصرانیین فسلّما معروفاً إلی المعلم وهو صبی وکان المعلِّم یقول له قل: ثالث ثلاثة وهو یقول: بل هو الواحد فضربه المعلِّم ضرباً مبرحاً، فهرب ومضی إلی الرضا علیه السلام وأسلم علی یده ثم إنّه أتی داره فدقَّ الباب فقال أبوه: من بالباب فقال: معروف، فقال علی أی دین؟ قال: علی دینی الحنیفی، فأسلم أبوه ببرکات الرضا علیه السلام قال معروف: فعشتُ زماناً ثم ترکتُ کلّما کنتُ فیه الّا خدمة مولای علی بن موسی الرضا. معجم رجال الحدیث ۱۸: ۲۳۱ وعن ابن خلکان وغیره نظیره. ولکن النمازی تنظَّر فیه مستدرکات علم الرجال ۷: ۴۵۴ وکذلک الذهبی ۹: ۳۴۳.

ص: ۱۵۰

فأتيت قبر معروف، فصلّيت عنده ودعوت ثم خرجت لأقصد البلد يعنى بغداد فاجتزت بقطفتا (۱)- قال: فرأيت مسجداً مهجوراً فدخلت لُاصلّى ركعتين، وإذا بمريض ملقى على باريهٔ، فقعدت عند رأسه وقلت: ما تشتهى؟ فقال: سفرجلهٔ، قال: فخرجت إلى بقال هناك فرهنتُ عنده مئزرى على سفرجلتين وتفاحهٔ وأتيتهُ بذلك، فأكل من السفرجلهٔ، ثم قال: أغلق باب المسجد، فأغلقته، فتنحى عن الباريهٔ وقال: احفر هاهنا، فحفرت وإذا بكوز، فقال: خذ هذا فأنت أحق به، فقلت: أما لك وارث؟ فقال: لا، وإنّما كان لى أخ وعهدى به بعيد وبلغنى انّه مات ونحن من الرصافهٔ.. وبينا هو يحدّثنى إذ قضى نحبه فغسلته وكفنتهُ ودفنته... ثم صعدت إلى دار الخليفهٔ وكتبت رقعهٔ فخرج عليها إشراف المخزن ثم تدرّجت الوزارهٔ (۲).

۴- قبر الشافعى: قال الجزرى: والدعاء عند قبره مستجاب (۳).

۵- قبر بكار البكراوى الحنفى ت ۲۷۰ ه.

دفن بالقرافهٔ وقبره مشهور يزار ويتبرّك به ويقال: إنّ الدعاء عند قبره مستجاب (۴).

۱- محلهٔ كبيرهٔ ذات الأسواق بالجانب الغربى من بغداد، معجم البلدان ۴: ۳۷۴.

۲- وفيات الأعيان ۶: ۲۳۹.

۳- طبقات القراء ۲: ۹۷.

۴- الجواهر المضيئهٔ ۱: ۴۶۱.

ص: ۱۵۱

۶- الحافظ العامری ت ۴۰۳ ه.

عکف الناس علی قبره لیالی یقرؤون القرآن ویدعون له (۱).

۷- أبو بکر الاصبهانی ت ۴۰۶ ه.

دفن بالحیرة من نیسابور ومشهده بها ظاهر یزار ویستسقی به وتجاب الدعوة عنده (۲).

۸- قبر السیدة نفیسة:

هی ابنة أبی محمد الحسن بن زید، وعن ابن خلکان: دفنت بدرب السباع وقبرها معروف بإجابة الدعاء وهو مجرّب رضی اللّه عنها (۳).

۱- الغدیر ۵: ۲۰۲، البدایة والنهایة ۱۱: ۴۰۴.

۲- وفیات الأعیان ۴: ۲۷۲.

۳- وفیات الأعیان ۵: ۴۲۴.

أقول: «هی ابنة أبی محمد الحسن بن زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنهم، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضی الله عنه، وقیل: بل دخلت مع أبیها الحسن، وان قبره بمصر لکنّه غیر مشهور.. وکانت نفیسة من النساء الصالحات التقیّات، ویروی ان الامام الشافعی لما دخل مصر حضر إلیها وسمع علیها الحدیث وکان للمصریین فیها اعتقاد عظیم وهو إلی الآن باقٍ کما کان، ولمّا توفی الشافعی، ادخلت جنازته إلیها وصلّت علیه فی دارها، وکانت مقیمة فی موضع مشهدها الیوم ولم تزل به إلی أن توفیت فی شهر رمضان سنة ثمان ومائتین.

ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق علی حملها إلی المدینة لیدفنها هناک، فسأله المصریون بقاءها عندهم فدفنت فی الموضع المعروف فیها الآن بین القاهرة ومصر عند المشاهد.. وقبرها معروف بإجابة الدعاء.. وفیات الأعیان ۵: ۴۲۴.

وقال الذهبی: قیل کانت من الصالحات العوابد والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبیاء والصالحین.. سیر أعلام النبلاء ۱۰: ۱۰۷.

ص: ۱۵۲

۹- قبر نصر بن إبراهيم المقدسى ت ۴۹۰ ه شيخ الشافعية

قال النووى: سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب (۱).

۱۰- قبر أبى الحسن المصرى فقيه الشافعية ت ۴۹۲

قال ابن الأنماطى: قبره بالقرافه يُعرف بإجابة الدعاء عنده (۲).

۱۱- قبر القاسم بن فيره الشاطبى ت ۵۹۰ ه

دفن بالقرافة وقبره مشهور معروف. قال صاحب طبقات القراء:

وقد زرته مرّات وعرض علىَّ بعض أصحابى الشاطبية عند قبره، ورأيتُ بركة الدعاء عند قبره بالإجابة (۳).

تصريحات مخالفة لرأى الوهابية:

۱- السيوطى فى قصة المعراج: روى عن النبى صلى الله عليه و آله: ركبت ومعى جبرئيل، فسرت، فقال: انزل، فصلِّ، ففعلت فقال: أتدرى أين صلّيت؟ صلّيت بطيبة وإليها المهاجرة ثم قال: إنزل فصلِّ، ففعلتُ، فقال: أتدرى أين صلّيت؟ صلّيت بطور سيناء حيث كلَّم اللَّه موسى.

ثم قال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدرى أين صلّيت؟ صلّيت

۱- شذرات الذهب ۵: ۳۹۷ حوادث سنة ۴۸۸.

۲- شذرات الذهب ۵: ۴۰۲ حوادث سنة ۴۹۰ ه.

۳- طبقات القراء ۲: ۳۲.

ص: ۱۵۳

ببیت لحم حیثُ وُلِدَ عیسی (۱).

فلو کان محل ولادة عیسی هذا شأنه، وان النبی محمد صلی الله علیه و آله ینزل فیصلی فیه، فمحل ولادة خاتم الأنبیاء محمّد صلی الله علیه و آله ومحل دفنه أعلی شأناً وأولی بأن یُصلّی فیه.

۲- قال ابن القیم الجوزیة- تلمیذ ابن تیمیة-: إن عاقبة صبر هاجر وابنها علی البُعد والوحدة والغربة والتسلیم إلی ذبح الولد، آلت إلی ما آلت إلیه من جَعْلِ آثارهما وموطئ أقدامهما مناسک لعبادة المؤمنین ومتعبدات لهم إلی یوم القیامة (۲).

انظر إلی کلام ابن القیم؛ فإنّه یری موطئ قدم هاجر وإسماعیل محل العبادة والصلاة والمناسک إلی یوم القیامة. فلِمَ لایجوز أن یکون محل ولادة النبی ودفنه وموطئ قدمه متعبّداً للمؤمنین إلی یوم القیامة؟

۳- ابن الجزری: «إن من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحین» (۳).

استقبال القبلة أم القبر الشریف حین الدعاء

نسب ابن تیمیة إلی الصحابة أنهم لم یدعوا اللّه مستقبلی القبر الشریف بل ینحرفون ویستقبلون القبلة..» (۴).

۱- الخصاص الکبری للسیوطی، کشف الارتیاب: ۲۴۷.

۲- کشف الارتیاب: ۴۲۸، عن زاد المعاد.

۳- اورده المعلق فی هامش المواهب اللّدنیة ۳: ۴۰۶ عن کتاب الحصن الحصین.

۴- رسالة زیارة القبور: ۱۵۹.

ص: ۱۵۴

والجواب:

أوّلًا: إنّ ابن تيمية لم يذكر اسم صحابي واحد كان قد انحرف عن القبر إلى القبلة في الدعاء ولو مرّة واحدة، بل برغم انه قد نسب ذلك إلى كل الصحابة! مع انه قد ورد عن ابن عمر- وهو من الصحابة- خلاف ذلك وان من السنة أن يستقبل القبر المكرّم ويجعل ظهره للقبلة (۱).

ثانياً: لا مانع من استقبال القبر عند الدعاء، وذلك للآية الكريمة أينما تولّوا فثمَّ وجه اللّه (۲).

ثالثاً: فتوى الفقهاء على خلاف ذلك:

أ- فتوى مالك: حينما سأله المنصور: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى اللّه تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك اللّه تعالى.. (۳).

وفي هذا السؤال دلالة واضحة على ان الدعاء عند القبر الشريف كان مشهوراً- ومرتكزاً- لايشك في جوازه ورجحانه وانما الذي توقف فيه المنصور، هو ان استقبال القبلة حال الدعاء أفضل أم استقبال القبر الشريف (۴).

۱- كشف الارتياب ۲۴۷ و ۳۴۰ و الغدير ۵: ۱۳۴.

۲- البقرة: ۱۱۵.

۳- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۶، المواهب اللدنية ۳: ۴۰۹.

۴- الغدير ۵: ۱۳۵، انظر كشف الارتياب ۲۴۷- ۳۴۰، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ۲: ۹۲.

ص: ۱۵۵

ب- الخفاجی: «استقبال وجهه صلی الله علیه و آله واستدبار القبلة مذهب الشافعی والجمهور. ونقل عن أبی حنیفة (۱).

ج- ابن الهمام محقق الحنفیة: ما نقل عن أبی حنیفة انّه یستقبل القبلة مردود بما روی عن ابن عمر من السنة ان تأتی قبر رسول اللّه من قِبل القبلة وتجعل ظهرک إلی القبلة وتستقبل القبر.. وهو الصحیح من مذهب أبی حنیفة.. وقول الکرمانی: إن مذهبه بخلافه لیس بشیء لأنّه حی فی ضریحه یعلم بزائره ومن یأتیه فی حیاته انّما یتوجه إلیه» (۲).

د- إبراهیم الحربی فی مناسکه: تولی ظهرک القبلة وتستقبل وسطهُ- یعنی القبر (۳).

ه- وعن ابی موسی االاصبهانی: انه روی عن مالک انه قال: اذا اراد الرجل أن یأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله فیستدبر القبلة ویستقبل النبی صلی الله علیه و آله ویصلی علیه ویدعو.

و- وقال السمهودی، وعن اصحاب الشافعی وغیره: یقف وظهره الی القبلة ووجهه الی الحَظیره، وهو قول ابن حنبل (۴).

ز- السختیانی: «عن أبی حنیفةقال: جاء أیوب السختیانی فدنا من قبرالنبی صلی الله علیه و آله فاستدبر القبلة و أقبل بوجهه إلی القبر و بکی بکاءً غیر متباک (۵)

۱- شرح الشفا ۳: ۵۱۷.

۲- المصدر نفسه.

۳- کشف الارتیاب ۳۲۶، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

۵- المصدر نفسه.

ص: ۱۵۶

ح- ابن جماعة: ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدّس مستدبر القبلة فيسلّم. وشذ الكرمانى فقال: يقف للسلام مستدبر القبر» (۱).

ط- ابن المنكدر: قال ابراهيم بن سعد رايت ابن المنكدر يصلى فى مقدم المسجد فاذا انصرف مشى قليلًا ثم استقبل القبلة ومدّ يديه ودعا ثم ينحرف عن القبلة ويشهِّر يديه ويدعو، يفعل ذلك حين يخرج فعل المودع» (۲).

ثالثاً: ما المانع من الصلاة بقرب القبر تبرّكاً بالمكان المدفون فيه النبى صلى الله عليه و آله كما يصلون عند المقام الذى هو حَجَر ولكن تشرف بملامسة رِجْلِ إبراهيم، لقوله تعالى: واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلّى (۳).

واما كلام ابن تيمية: «إنّ الصلاة فى البيت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين» (۴).

هذه دعوى مجرّدة عن الدليل، وهل صرّح بذلك أحد من أئمّة السلف، فضلًا عن نسبة ذلك إلى جميعهم»!!

معنى حديث النهى عن اتخاذ القبور مساجد:

أما حديث لعن اللّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،

۱- كشف الارتياب ۳۲۶، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

۲- سير اعلام النبلاء ۵: ۳۵۸.

۳- البقرة: ۱۲۵.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

ص: ۱۵۷

وحديث: اللهم لا تجعل قبرى وثناً (۱) يعبد، اشتدّ غضب اللّه على قوم، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

ففيه: أوّلًا: نقاش سندى، إذ على روايهٔ النسائى:- فى طريقه عبد الوارث وقد رموه بأنّه كان يرى القدر- أى الاعتزال- وكانوا لا يصلّون خلفه، وكان حماد ينهى عن عبد الوارث (۲).

وفيه أيضاً أبو صالح، وهو مردد بين مجاهيل وضعاف وثقات والمحتمل أنه: باذام مولى ام هانى، وهو متروك الحديث، أو ضعيف أو كذّاب (۳).

واما روايهٔ ابن ماجهٔ: ففيه عبداللّه (۴) بن عثمان، وقالوا فيه: انّه ليس بالقوى، أو يخطئ، أو منكر الحديث.

واما ابن بهمان فعن ابن المدينى: انه لا نعرفه.

واما روايهٔ الموطأ: فهى مرسلهٔ كما صرح بذلك ابن عبد البر لأن عطاء بن يسار لم يدرك النبىّ (۵).

ثانياً: لا يدل الحديث على ما زعمه ابن تيميهٔ والوهابيون من عدم جواز الصلاهٔ عند القبور وفى مشاهدها وبناء المساجد عليها.

۱- أحمد ۲: ۲۴۶، موطا ۱: ۱۷۲ ح ۸۵. البخارى ۴۸ الصلاهٔ مسلم ۱۹، المساجد. أحمد ۱: ۲۱۸.

۲- ميزان الاعتدال ۲: ۶۷۷.

۳- ميزان الاعتدال ۴: ۵۳۸.

۴- ميزان الاعتدال ۲: ۴۵۹، الكامل فى الضعفاء ۴: ۱۶۱.

۵- الموطأ ۱: ۱۷۲، سير اعلام النبلاء ۴: ۴۴۸.

ص: ۱۵۸

وذلـك لأـن الظاهر منه: انّه إشارة إلى روايـة كنيسـة الحبشـة؛ إذا مات منهم الرجل الصالـح بنوا على قبره مسـجداً ثم صوروا فيه تلك الصور..

وسـبب الـذم هو اتخـاذهم قبور أنبيائهم مساجـد بتلك الحالـة وهى تصويرهم الصورة وعبادتها والصـلاة والسـجود إليها أو إليها وإلى القبر.

كما يصلى إلى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية.

فالنهى عن اتخاذها مساجـد هو فيما لو كان من هـذا السـنخ، واما لو بنى المسـجد على القبر، ولكنّه صـلّى إلى القبلـة ومتوجهاً إلى اللّه تعالى، فلا إشكال فيه، كما يصلى اليوم فى المسجد النبوى الشريف، أو الجامع الأموى بدمشق وفيه قبر النبى زكريا عليه السلام.

۱- قال القرطبى: «انّما صور أوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتـذكّروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون اللّه عند قبورهم ثم خلّفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان: ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذّر النبى عن مثل ذلك» (۱).

۲- قـال النووى: إن كـان البناء فى ملك البانى فمكروه، وإن كان فى مقبرة مسـبلة، فحرام، نصَّ عليه الشافعى والأصـحاب.. تجصـيص القبر مكروه (۲).

۱- إرشاد السارى ۳: ۴۹۷ و ۲: ۹۹، انظر صحيح مسلم ۱: ۱۹۷ الهامش.

۲- شرح صحيح مسلم ۳: ۶۲.

قال ابن رفعـة: ويسـتثنى مقبرة الأنبياء فلا كراهة فيها لأن اللّه حرّم على الأرض أن تأكل أجسادهم، وأنّهم أحياء فى قبورهم يصـلّون... وقال: يحرم أن يصلّى متوجّهاً إلى قبره عليه الصلاة والسلام ويكره إلى غيره مستقبل الآدمى لأنه يشغل القلب غالباً ويقاس بما ذكر فى قبره سائر قبور الأنبياء... إرشاد السارى ۲: ۹۷.

ص: ۱۵۹

۳- قال القسطلانى قوله: بنوا على قبره مسجداً» مؤوّل على مذمة من اتخذ القبر مسجداً ومقتضاه التحريم لاسيما وقد ثبت اللعن عليه، لكن صرّح الشافعى وأصحابه بالكراهة (۱).

۴- وقال البنديجى المراد: ان يسوى القبر مسجداً فيصلّى فيه، وقال: انّه يكره ان يبنى عنده مسجد فيصلّى فيه إلى القبر. واما المقبرة الدائرة إذا بنى فيها مسجد ليصلّى فيه فلم أر فيه بأساً لأن المقابر وقف وكذا المسجد فمعناهما واحد.

۵- قال البيضاوى: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجّهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً، لعنهم النبى صلى الله عليه و آله ومنع المسلمين من مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرّك بالقرب منه، لا للتعظيم ولا للتوجّه إليه فلا يدخل فى الوعيد المذكور (۲).

۶- وقال السندى: «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. أى قبلة للصلاة يصلّون إليها أو بنوا مساجد عليها يصلّون فيها، ولعلّ وجه الكراهة انّه قد يفضى إلى عبادة نفس القبر، سيما فى الأنبياء والأخيار..» (۳).

۱- انظر ارشاد السارى ۹: ۴۷۷ و ۷: ۴۶۲.

۲- إرشاد السارى ۳: ۴۷۹.

۳- سنن النسائى ۴: ۹۶.

ص: ۱۶۰

۷- النووى: قال العلماء انّما نهى النبى صلى الله عليه و آله عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به فربما أدّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الامم الخالية. ولمّا احتاجت الصحابة والتابعون إلى الزيادة فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة مدفن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وصاحبيه بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلّى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ولهذا قال فى الحديث ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً..» (۱).

فتوى الفقهاء، حول الصلاة فى المقبرة:

۱- رأى مالك: «قلت لابن القاسم هل كان مالك يوسع ان يصلّى الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له؟ قال: كان مالك لا يرى بأساً بالصلاة فى المقابر وهو إذا صلّى فى المقبرة كانت القبور بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله. وقال مالك لابأس بالصلاة فى المقابر. قال: وبلغنى ان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه و آله كانوا يصلّون فى المقبرة (۲).

۲- عبد الغنى النابلسى: «وامّا من اتخذ مسجداً فى جوار صالح أو صلّى فى قبره، وقصد به الاستظهار بوجه أو وصول أثر من آثار

۱- شرح النووى ۵: ۱۴.

۲- المدوّنة الكبرى ۱: ۹۰.

ص: ۱۶۱

عبادته إليه لا للتعظيم له والتوجّه إليه فلا حرج إذ مرقد اسماعيل عند الحطيم من المسجد الحرام، ثم ان ذلك الموضع أفضل مكان يصلّى فيه» (۱).

۳- وقال أيضاً: «واما إذا كان موضع القبور مسجداً أو على طريق. أو كان هناك أحدٌ جالس. أو ان قبر وليّ من أولياء اللّه أو عالم من المحقّقين، تعظيماً لروحه المشرقة على تراب جسده كاشراق الشمس على الأرض، اعلاماً للناس انّه وليّ، ليتبرّكوا به ويدعوا اللّه عنده، فيستجاب لهم، فهو أمر جائز لا مانع منه، والأعمال بالنيّات» (۲).

۴- الأبى المالكى- كما عن الكوثرى- «من اتخذ مسجداً قرب رجل صالح أو صلى فى مقبرته قصداً للتبرّك بآثاره وإجابة دعاه هناك فلا حرج فى ذلك، واحتج لذلك بأن قبر إسماعيل عليه السلام فى مسجد الحرام عند الحطيم ثم ان ذلك الموضع أفضل مكان للصلاة فيه» (۳).

۵- البغوى: «منهم من ذهب إلى ان الصلاة فيها جائزة إذا صلّى فى موضع نظيف منه.

وروى ان عمر رأى أنس بن مالك يصلّى عند قبر، فقال: القبر القبر. ولم يأمره بالإعادة، وحكى عن الحسن انّه صلّى فى المقابر. وعن مالك: لا بأس بالصلاة فى المقابر.

۱- الحديقة النديّة ۲: ۶۳۱.

۲- الحديقة النديّة ۲: ۶۳۰.

۳- المقالات للكوثرى: ۲۴۶، شرح صحيح مسلم ۲: ۲۳۴.

ص: ۱۶۲

وتأويل الحديث، هو ان الغالب من أمر الحمام قذارة المكان ومن أمر المقابر اختلاط تربتها بصديد الموتى ولحومها. فالنهى لنجاسة المكان، فإن كان المكان طاهراً فلابأس» (۱).

هل يبقى مجال للوهابيين بعد هذه الفتاوى والآراء الصريحة أن يتّهموا من يصلّى فى المشاهد والمقابر، بالشرك والكفر، وانه يريد عبادة صاحب القبر؟! وقد صلّى أنس بن مالك والحسن البصرى بين المقابر!!

۱- شرح السنة، للبغوى ۲: ۳۹۸.

ص: ۱۶۳

الفصل السابع: بناء القبور وعقد القباب

اشارة

بناء القبور

وعقد القباب

۱- رأى الوهابية

۲- مناقشة الفكرة

۳- مناقشة طرق الحديث

۴- سيرة الصحابة وعموم المسلمين

۵- نماذج من القبور المبنية والقباب

۶- مناقشة طرق حديث ابن الزبير

۷- مناقشة دلالة الحديث

ص: ۱۶۴

ص: ۱۶۵

هذا ما حرّمه الوهابيون واعتبروا ذلك شركاً وكفراً، وأوجبوا هدم القبور والقباب التى عليها، والبناء الذى حولها، وفيما يلى أقوالهم:

۱- قال الصنعانىّ: إن المشهد بمنزلة الوثن والصنم، إنَّ ما كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثناً وصنماً هو الذى يفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، وذلك لايخرجه عن اسم الوثن والصنم» (۱).

۲- وعن ابن القيم (تلميذ ابن تيمية): يجب هدم المشاهد التى بُنيت على القبور التى اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون اللّه ولايجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وابطالها يوماً واحداً فانّها بمنزلة اللات والعزى، أو أعظم شركاً عندها، وبها (۲)..

۳- وصرّح الوهابيون فى كتابهم إلى شيخ الركب المغربى: إن ما

۱- كشف الارتياب: ۲۸۶ عن تطهير الاعتقاد.

۲- زاد المعاد: ۶۶۱.

ص: ۱۶۶

حدث من تعظيم قبور الأنبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الامور التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه و آله بقوله: لاتقوم الساعة حتى يلحق حيّ من امتى بالمشركين وحتى يعبد فئام من امّتى الأوثان (۱).

۴- وقال قاضى قضاتهم عبداللّه بن سليمان بن بليهد فى جريدة امّ القرى ۱۳۴۵ ه. ق: لم نسمع فى خير القرون، ان هذه البدعة حدثت فيها، بل بعد القرون الخمسة (۲).

۵- وفى الجواب المنسوب لعلماء المدينة: اما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحّة الأحاديث الواردة فى منعه، ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث على: انه قال لأبى الهياج: ألا أبعثكَ على ما بعثنى عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلّاسوّيته.

مناقشة الفكرة

والجواب:

اما الاجماع: فممنوع بل هذا العمل جائز إجماعاً لاستمرار عمل المسلمين عليه من جميع المذاهب الإسلامية فى كل عصر وزمان: عالمهم وجاهلهم، مفضولهم وفاضلهم أميرهم ومأمورهم رجالهم ونسائهم، قبل الوهابية. والسيرة إجماع عملى لأنها كاشف قطعى عن انه مأخوذ

۱- انظر كشف الارتياب: ۲۸۷.

۲- المصدر نفسه.

ص: ۱۶۷

من صاحب الشرع.

ويؤيده اعتراف الصنعانى نفسه بهذه السيرة- فى رسالته تطهير الاعتقاد- حيث أورد على نفسه سؤالًا: بأن هذا الأمر عمَّ البلاد وطبَّق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلّاوفيها قبور ومشاهد، بل مساجد المسلمين غالبها لاتخلو عن قبر أو مشهد ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة فى جميع الدنيا.

فأجاب: إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه العوالم جيلًا بعد جيل.

فاعلم ان هذه الامور صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير بل ترى من يتسم بالعلم ويدّعى الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة أو الامارة والحكومة، معظماً لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه، ولايخفى أن سكوت العالم أو العالِم على وقوع المنكر ليس دليلًا على جوازه..»

وقفة مع الصنعانى:

أولًا: فى هذا النص اعتراف من الصنعانى بوقوع السيرة على أكمل وجوهها واعترف بوقوع ذلك من جميع طبقات الناس من العوالم والعلماء والفضلاء والقضاة والمفتين والمدرسين، والأولياء والعارفين والامراء والحكّام بدون إنكار، ولم تخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات، فأى سيرة أقوى من هذه وأشمل.

ص: ۱۶۸

ثانیاً: قوله: إن الحق ما قام علیه الدلیل، فنقول: ان اتفاق الامة جیلًا بعد جیل دلیل قطعی، لا دلیل أقوی منه.

اما الاستدلال بصحّة الحدیث:

ففیه:

أولًا: صحّة الحدیث فی نظرهم ووضوح دلالته عندهم وخلوّه عن المعارض لایوجب، صحته ووضوحه فی نظر غیرهم، فکیف یدعی الاجماع اعتماداً علی دعوی صحة الحدیث.

ثانیاً: التناقض والتهافت فی کلامه: إذ تارة یقول: أفتی کثیر من العلماء بوجوب هدمه وتارة یقول: الحدیث الدال علی التحریم مجمع علی صحته. فلو کان مجمعاً علی صحته، فلماذا لم یفت جمیعهم بوجوب الهدم بل أفتی الکثیر- علی حسب دعواهم.

ثالثاً: النقاش فی سند الحدیث ودلالته:

«حدّثنا یحیی بن یحیی وأبو بکر بن أبی شیبة وزهیر بن حرب، قال یحیی: أخبرنا وقال الآخران: حدّثنا وکیع، عن سفیان، عن حبیب ابن أبی ثابت، عن أبی وائل، عن أبی الهیّاج الأسدی، قال: قال لی علی علیه السلام: ألا أبعثک علی ما بعثنی علیه رسول اللّه صلی الله علیه و آله لا تدَع تمثالًا إلّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلّاسوّیته» (۱).

اما النقاش السندی؛ ففیه من ضعَّفه علماء الرجال ومتخصصوا الفن.

۱- صحیح مسلم ۳: ۶۱، الترمذی ۲: ۲۵۶.

ص: ۱۶۹

اما وكيع: وهو ابن الجراح الرواسى.

۱- قال عبداللّه بن أحمد بن حنبل: سمعت ابى يقول: ابن مهدى أكثر تصحيفاً من وكيع: ووكيع أكثر خطأ من ابن مهدى.

۲- وقال عبداللّه بن أحمد فى موضع آخر: سمعت أبى يقول: أخطأ وكيع فى خمس مئة حديث (۱).

۳- وقال ابن المدينى: كان وكيع يلحن، ولو حدثت بألفاظه لكانت عجباً، كان يقول: حدّثنا الشعبى، عن عائشة (۲).

۴- وقال محمد بن نصر المروزى: كان يحدِّث بآخره من حفظه فيغيّر (۳) ألفاظ الحديث كأنه يحدِّث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان (۴).

واما سفيان:

۱- قال الذهبى كان يدلس عن الضعفاء (۵).

۲- وعن ابن المبارك، قال: حدث سفيان بحديث، فجئتُهُ وهو يدلسه، فلما رآنى إستحيى، وقال: نرويه عنك (۶).

۳- وعن أبى بكر، قال: سمعتُ يحيى يقول: جَهد الثورى أن

۱- تهذيب الكمال ۳۰: ۴۷۱.

۲- ميزان الاعتدال ۴: ۳۳۶.

۳- عن نعيم بن حماد: تعشينا عند وكيع، فقال: أى شىء أجيئكم به، نبيذ الشيوخ أو الفتيان؟ قلت: تتكلم بهذا؟ قال: هو عندى أحل من ماء الفرات. تاريخ بغداد ۱۳: ۷۲.

وعن أحمد: كان يسب السلف ويشرب المسكر، والفتوى بالباطل.

۴- تهذيب التهذيب ۱۱: ۱۲۵.

۵- ميزان الاعتدال ۲: ۱۶۹.

۶- تهذيب التهذيب ۱۱: ۲۱۸.

ص: ۱۷۰

یدلسَ علیَّ رجلًا ضعیفاً فما أمکنه (۱).

۴- وعن یحیی بن معین: لم یکن أحد أعلم بحدیث أبی إسحاق من الثوری وکان یدلس (۲).

واما حبیب بن أبی ثابت:

۱- قال ابن حبان: کان مدلساً (۳).

۲- وقال العقیلی: وله عن عطاء أحادیث لا یتابع علیها (۴).

۳- وقال العقیلی أیضاً: غَمَزهُ ابن عون (۵).

۴- وقال القطان: له غیر حدیث عن عطا، لایتابع علیه ولیست بمحفوظة.

۵- وقال ابن خزیمة: کان مدلساً (۶).

وأما أبو وائل: فهو من مبغضی علی علیه السلام فکیف یعتمد علیه، وقد قال النبی صلی الله علیه و آله یا علی لایحبک إلّامؤمن، ولا یبغضک إلّامنافق (۷).

المناقشة فی المتن والدلالة:

أولًا: انّه شاذ، انفرد به أبو الهیّاج، وقال السیوطی فی شرح النسائی: لیس لأبی الهیّاج فی الکتب إلّاهذا الحدیث الواحد.

۱- تهذیب التهذیب ۳: ۱۷۹.

۲- الجرح والتعدیل ۴: ۲۲۵.

۳- تهذیب التهذیب ۲: ۱۷۹، تقریب التهذیب ۱: ۳۱۶.

۴- المصدر نفسه.

۵- میزان الاعتدال ۱: ۴۵۱.

۶- تهذیب التهذیب ۲: ۱۷۹، شرح نهج البلاغة ۴: ۹۹ کان عثمانیاً یقع فی علی علیه السلام.

۷- مجمع الزوائد ۹: ۱۳۳.

ص: ۱۷۱

ثانیاً: لا دلالة له علی المدّعی بل هو وارد فی الأمر بالتسطیح والنهی عن التسنیم، فان الشرف، وإن کان معناه: العالی إلّاأن التسنیم نوع من العلو.

«الشرف» یعنی العلو، ومن البعیر سنامه- کما فی القاموس (۱)- إذن: الشرف یشمل باطلاقه، أو بوصفه، العالی سواء کان علوه بالتسنیم وبغیره.

ولکن قوله «إلّا سوّیته» قرینة علی إرادة التسنیم من الشرف والتسطیح من التسویة.

وبعبارة اخری فی الروایة احتمالات ثلاث:

۱- أن یکون المراد هدم البناء المشیّد علی القبر.

۲- أن یکون المراد تسویة القبر مع الأرض.

۳- أن یکون المراد تسطیح القبر وتعدیل ما فیه من اعوجاج والحیلولة دون تسنیمه کظهر السمک وسنام البعیر.

اما الاحتمال الأوّل فمردود لوجود السیرة وعمل الصحابة وغیرهم علی خلافه، وسیجیء البحث عنه.

واما الاحتمال الثانی فمردود أیضاً، وذلک لقیام السنّة القطعیة علی ارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

فیبقی الاحتمال الثالث: وهو تسطیح القبر وتعدیل ما فیه من اعوجاج والحیلولة دون تسنیمه، کظهر السمک وسنام البعیر. وهذا ما

۱- القاموس ۳: ۱۶۲.

ص: ۱۷۲

يراه جمع من علماء السنّة كالنووى والقسطلانى.

قال النووى: إن السنّة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً، ولا يُسّنم بل يرفع نحو شبر ويسطح (۱).

وقال القسطلانى: بعد أن قال: السنّة فى القبر تسطيحه وانه لايجوز ترك هذه السنّة لمجرّد أنها صارت شعاراً للروافض، وانه لا منافاة بين التسطيح وحديث أبى هيّاج، يقول: لأنّه لم يُرد تسويته بالأرض وانّما أراد تسطيحه جمعاً بين الأخبار (۲).

ثالثاً: سيرة الصحابة وعموم المسلمين:

۱- ان قبور الأنبياء التى حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام فى القدس وقبور إبراهيم وبنيه: إسحاق ويعقوب ويوسف الذى نقله موسى من مصر إلى بيت المقدس فى بلد الخليل كلها مبنية مشيّدة، قد بنى عليها بالحجارة العادية العظيمة من قبل الإسلام وبقى ذلك بعد فتح الإسلام (۳).

وقد صرّح بذلك ابن تيمية، فقال: ان البناء الذى على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً فى زمن الفتوح وزمن الصحابة إلّاانّه كان باب

۱- المجموع ۴: ۳۱۲.

۲- إرشاد السارى ۲: ۴۶۸.

۳- هذا ما أشار إليه السيّد الأمين فى كشف الارتياب ۴۸۴، وبه رواية- إن صحّت- فهى تدل على ذلك. انظر درر الأخبار ۲: ۱۸۵ للشيخ الوالد، معالم الزلفى: ۱۰۸. لكن هناك احاديث مفادها: إنَّ اللّه حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء، راجع مسند أحمد ۴: ۸.

ص: ۱۷۳

ذلك البناء مسدوداً إلى سنة الاربعمائة.

ولا شك ان عمر لمّا فتح بيت المقدس رأى ذلك البناء، ومع ذلك لم يأمر بهدمه.

دعوى ابن بليهد:

لقد ادعى ابن بليهد: أنّ البناء على القبور حدث بعد القرون الخمسة.

هذا ولكن التاريخ على خلاف دعواه تماماً، فإن هناك أبنية على القبور، ومزارات كانت قبل القرن الخامس بل بعضها فى القرن الأول والثانى. وإليك أمثلة على ذلك:

۱- بناء الحجرة الشريفة.

۲- بناء المسجد على قبر حمزة.

۳- ان قبر إبراهيم بن رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان فى دار محمد بن زيد بن على عليه السلام.

۴- قبر سعد بن معاذ كان فى دار ابن أفلح، وان عليه حنبذة- أى قبّة- فى زمن عمر بن عبدالعزيز الذى هو من المائة الثانية (۱).

۵- ان البناء على قبر الزبير كان عام ۳۸۶ ه.

۶- ان البناء على قبر النذور- قبر عبيداللّه بن محمد بن عمر بن على عليه السلام كان فى القرن الرابع.

۱- انظر وفاء الوفاء ۲: ۵۴۵، كشف الارتياب: ۴۲۴.

ص: ۱۷۴

تجديد بناء القبر على عهد الصحابة والتابعين:

۱- قبر النبى صـلى الله عليه و آله: فانّه صلى الله عليه و آله دفن فى حجرة مبنية، ولو كان البناء على القبور محرماً، لهدمها الصحابة قبل دفنه صـلى الله عليه و آله، إذ لو كان البناء كالأصـنام، فلا فرق بين البناء السابق والبناء اللاحق، والبناء والقبـة على القبر الشـريف لازال موجوداً إلى يومنا هذا.

۲- لم يكن على بيت النبى حائط، وكان أوّل من بنى عليه جداراً، عمر بن الخطاب (۱).

۳- ان عائشة بَنَتْ حائطاً بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلّى فيها قبل الحائط وبعده.

«كـانوا يأخـذون من تراب القبر، فـأمرت عائشـة بجـدار فضـربت عليهم وكـانت فى الجـدار كوة، فكانوا يأخـذون منها، فأمرت بالكوة فَسُدْتْ (۲).

۴- ثم بناها عبداللّه بن الزبير ثم سقط حائطها.

۵- بناه عمر بن عبـدالعزيز، وفى رواية انه هدم البيت الأوّل. ثم بناه وبنى حظاراً محيطاً به وتولّى ذلك عمر بن عبدالعزيز وآزر الحجرة بالرخام.

فلما ان بنى البيت على القبر وهدم البيت الأوّل، ظهرت القبور الثلاثة (۳).

۱- وفاء الوفاء ۲: ۵۴۱.

۲- وفاء الوفاء ۲: ۵۴۴.

۳- وفاء الوفاء ۲: ۵۴۷.

ص: ۱۷۵

۶- ثم اعيد تأزيرها فى زمن المتوكل الخليفة العباسى.

۷- جُدِّد فى زمن المقتفى، ثم عُمِلَ فى زمنه للحجرة مُشبّك من خَشَب الصندل، والابنوس على رأس جدار عمر بن عبدالعزيز.

۸- ثم لما سقط حائط الحجرة فى دولة المستضيئ، اعيد بناؤه ثم لما احترق الحرم الشريف عام ۶۵۴ ه. ق شرعوا فى تجديد الحجرة الشريفة فى دولة المستعصم العباسى وأكمل تعميره من آلاتٍ وصلت من مصر فى عهد الملك المنصور أيبك الصالحى، وأخشاب من صاحب اليمن: الملك المظفر.

۹- ثم أكمل تعميرها فى أيام الملك المنصور قلاوون الصالحى صاحب مصر فعملت أوّل قبّة على الحجرة الشريفة. وهى القبة الزرقاء التى بناها أحمد بن عبدالقوى (۱) عام ۶۷۸ ه. ق.

ثانياً: قبور الصحابة وغيرهم:

۱- ان عقيلًا لما حفر بئراً فى داره وجد حجراً مكتوباً عليه: هذا قبر امّ حبيبة (۲)، فدفن البئر وبنى عليه بيتاً.

۲- بنى الرشيد قبة على قبر أمير المؤمنين على عليه السلام فى المائة الثانية (۳).

۱- راجع كشف الارتياب: ۴۰۰، وفاء الوفاء للسمهودى ۲: ۵۷۳.

۲- فيه تأمل إذا كان المقصود بها زوج النبى صلى الله عليه و آله إذ كيف يخفى عليه قبرها، مع ان عقيلًا كان معاصراً لُام حبيبة.

۳- يقول الشاعر الحسين بن الحجاج سنة ۳۹۱ ه:

ياصاحب القبّة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفى

زوروا أبا الحسن الهادى لعلّكم تحظون بالأجر والاقبال والزلفِ

زوروا لمن تُسمع النجوى لديه فمن يزره بالقبر ملهوفاً لديه كفى

إذا وصلت فاحرم قبل تدخله ملبياً وأسع سعياً حوله وطف

موسوعة العتبات المقدسة ۶: ۹۷، الغدير ۴: ۹۴، درر الأخبار ۲: ۲۱۴، للمرحوم آية اللّه الطبسى.

ص: ۱۷۶

۳- يقول الخطيب البغـدادى: ان الكـاظم عليه السـلام دفن فى مقـابر الشونيز وقبره هنـاك مشـهور يزار، عليه مشـهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش (۱). وولادة الخطيب عام ۳۹۲ ه وهو من القرن الرابع.

۴- ان الرضا عليه السلام دفن فى القبّة التى دفن فيها هارون بطوس ويظهر أن ولده المأمون بنى تلك القبّة عام ۲۰۰ ه.

۵- قبر أبى تمام الطائى: إنّ نهشل بن حميد الطوسى بنى على قبر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المعروف بالموصل عام ۲۳۰ ه.

۶- قبر بوران: بنيت قبة على قبر بوران بنت الحسن بن سهل عام ۲۷۱ ه.

۷- الذهبى: إن المتوكل عام ۲۳۶ أمر بهدم قبر الحسين (۲)، وهدم ما حوله. فتألم المسـلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء. وممّا قيل فيه:

تاللّه إن كانت اميّة قد أتت قتل ابن بنتِ نبيّها مظلوماً

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوماً

۱- وفيات الأعيان ۵: ۳۱۰.

۲- انظر مآثر الانافة فى معالم الخلافة للقلقشندى ۱: ۱۲۰ حول بناء المشهد المعروف بمشهدالحسين عليه السلام بمصر.

ص: ۱۷۷

اسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبعوه رميماً (۱)

اذن هـذه العصور كلها سابقـة على القرن الخامس الـذى يدعيه ابن بليهد، فلو كانت الأبنية على القبور محرّمة وتُعد شـركاً لورد النهى، سيمـا ان تلـك العصور- خصوصاً عصـر هارون والمأمون- كان حافلًا بالعلماء وأئمـة الـدين، ولم ينقل ان أحـداً منهم أنكر ذلك، مع انّهم أنكروا على المأمون خلق القرآن ولم يوافقوه، وصبروا على الحبس والضرب..

وفيما يلى نماذج اخرى:

۱- قبر سلمان الفارسى ت ۳۶ ه.

قال الخطيب البغدادى: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع وعمارته والنظر فى أمر مصالحه» (۲).

۲- قبر طلحة المقتول يوم الجمل سنة ۳۶ ه.

قال ابن بطوطة: مشهد طلحة بن عبيد اللّه.. وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد، وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر..

ثمّ عدَّ مشاهداً فى البصرة لجملة من الصحابة والتابعين فقال:

وعلى كلِّ قبر قبّةٌ مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته (۳).

۳- الزبير بن العوام: قال ابن الجوزى: بنى عليه الأثير أبو المسك

۱- وذكرها أيضاً الذهبى فى تاريخ الإسلام ۱۷/ ۱۸ فى حوادث سنة ۲۳۶. راجع كشف الارتياب: ۳۰۸، وفاء الوفاء للسمهودى ۲: ۸۴.

۲- تاريخ بغداد ۱: ۱۶۳.

۳- رحلة ابن بطوطة ۱: ۱۸۷.

ص: ۱۷۸

عنبر، بناءاً وجعل الموضع مسجداً ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسمّادات واقيم قوّام وحفظة ووقف عليه وقوفاً (۱).

۴- أبو أيوب الأنصارى: ت ۵۲ بالروم:

قال الوليـد: حـدّثنى شـيخ من أهل فلسـطين: أنه رأى بنيـة بيضاء دون حائط القسـطنطنية، فقالوا: هـذا قبر أبى أيوب الأنصارى صاحب النبى صلى الله عليه و آله، فأتيت تلك البنية فرأيتُ قبره فى تلك البنية وعليه قنديل معلّق بسلسلة (۲).

وقال ابن كثير: وعلى قبره مزار ومسجد (۳)..

۵- مشهد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال الذهبى: «له مشهد عظيم مشهور ببغداد ولولده على بن موسى مشهد عظيم بطوس» (۴).

قال ابن الجوزى: فى هـذه الأيام- يعنى سـنة ۴۵۹- بنى أبو سـعد المسـتوفى الملقب شـرف الملك، مشهد أبى حنيفة وعمل لقبره ملبناً وعقد القبّة...» (۵).

۶- معروف الكرخى ت ۲۰۰ ه

قال ابن الجوزى:.. بُنيت تربة قبر معروف فى ربيع الأول سنة

۱- المنتظـم ۱۴: ۳۸۷، أقول: إن الزبير وطلحـة نكثـا بيعـة الإمـام على عليه السـلام وأجّجـا نـار الحرب وخرجـا على إمام زمانهما ولقيا مصرعهما فى تلك المعركة او جرّاء تلك المعركة.

۲- تاريخ بغداد ۱: ۱۵۴.

۳- البداية والنهاية ۸: ۶۵.

۴- سير أعلام النبلاء ۶: ۲۷۴.

۵- المنتظم ۱۶: ۱۰۰.

ص: ۱۷۹

۴۶۰ وعقد مشهداً زاجاً بالجص والآجر (۱)

۷- محمد بن إدريس الشافعي: ت ۲۰۴ ه

قال الذهبي: إن الملك الكامل عمّر قبّةً على ضريح الشافعي (۲).

۸- أبو على الهبيش ت ۴۲۰ ه

قال ابن الجوزي: قبره ظاهر بالكوفة وقد عمل عليه مشهد.. (۳).

تتميم: ردّ الاستدلال بحديث أبى الزبير

وقد استدلّوا بروايۀ ابى الزبير التى رواها مسلم (۴) والترمذى (۵)، وابن ماجه (۶)، والنسائى (۷)، وأبو داود (۸)، وأحمد فى مسنده (۹) (نهى رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يجصص القبر وان يعقد عليه وأن يبنى عليه».

وفيما يلى طرق الحديث:

الطريق الأول: أبو بكر بن أبى شيبۀ، حدّثنا حفص بن غياث، عن ابن جُريج، عن أبى الزبير، عن جابر: نهى رسول اللّه صلى الله عليه و آله... (۱۰)

۱- المنتظم ۱۶: ۱۰۵.

۲- دول الإسلام: ۳۴۴.

۳- المنتظم ۱۵: ۲۰۲.

۴- صحيح مسلم ۳: ۶۳.

۵- الترمذى ۲: ۲۰۸.

۶- سنن ابن ماجه ۱: ۴۷۳.

۷- سنن النسائى ۴: ۸۷.

۸- سنن أبى داود ۳: ۲۱۶.

۹- مسند أحمد ۳: ۲۹۵.

۱۰- صحيح مسلم ۳: ۶۳.

ص: ۱۸۰

الطريق الثانى: هارون بن عبداللّه، حدّثنا حجاج بن محمد، وحدّثنى محمد بن رافع، حدّثنا عبدالزراق جميعاً عن ابن جريج، عن أبى الزبير.. (۱) الطريق الثالث: عبد الرحمن بن الأسود، أخبرنا محمد بن ربيعة، عن ابن جريج عن أبى الزبير (۲).

الطريق الرابع: حدّثنا أزهر بن مروان ومحمد بن زياد، قال:

حدّثنا عبد الوارث عن أيوب، عن أبى الزبير... (۳).

الطريق الخامس: أخبرنا يوسف بن سعيد، حدّثنا حجاج عن ابن جريج، عن أبى الزبير (۴).

المناقشة فى السند:

وفى السند: ابن جريج، وأبو الزبير، وحفص بن غياث ومحمد بن ربيعة، وعبدالرزاق.

اما ابن جريج: وهو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموى.

الآراء حوله:

۱- سُئل يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج، فقال: ضعيف.

فقيل له: إنّه يقول: أخبرنى، قال: لا شىء.. كلّه ضعيف.

۲- قال أحمد: إذا قال ابن جريج: قال فلان، وقال فلان

۱- المصدر نفسه.

۲- الترمذى ۲: ۲۰۸.

۳- سنن ابن ماجة ۱: ۴۷۳.

۴- سنن النسائى ۴: ۸۷.

ص: ۱۸۱

وواخبرتُ، جاء بمناكير.

۳- قال مالك بن أنس: كان ابن جُريج حاطب ليل (۱).

۴- وقال الدارقطنى: تجنب تدليس ابن جريج، فانّه قبيح التدليس لا يدلس إلّافيما سمعه من مجروح.

۵- وقال ابن حبان: كان يدلس فى الحديث.

۶- وقال يحيى بن سعيد، إذا قال ابن جريج «قال»: فهو شبه الريح.

۷- وقال يزيد بن زريع: كان ابن جريج صاحب غثاء.

۸- قال الذهبى:.. يدلس وهو فى نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحواً من سبعين امرأة نكاح المتعة.

۹- قال عبداللّه بن أحمد، قال أبى: بعض الأحاديث التى كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالى من أين يأخذها.

۱۰- قال الدارقطنى: تجنب تدليس ابن جريج، فانّه قبيح التدليس، لا يدلس إلّافيما سمعه من مجروح مثل إبراهيم بن أبى يحيى (۲).

اما الراوى الثانى: أبو الزبير:

اسمه: محمد بن مسلم بن تدرس الآمدى

۱- و «حاطب ليل» أى الذى يحطب أو يجمع الحطب فى الليل: مَثَلٌ يطلق على من يخبط خبطاً ويخلط بين الخطأ والصحيح بلا بصيرة.

۲- تهذيب الكمال ۱۸: ۳۴۸، تهذيب التهذيب ۶: ۴۰۴، ميزان الاعتدال ۲: ۶۵۹.

ص: ۱۸۲

وقد ضعفه علماء الرجال. وفيما يلى نماذج من آرائهم:

۱- عن أحمد: كان أيوب يضعفه..

۲- قال نعيم بن حماد، سمعت ابن عيينه: كأنه يضعفه.

۳- عن سويد بن عبدالعزيز، قال لى شعبة: تأخذ عن أبى الزبير، وهو لايحسن أن يصلّى؟!

۴- قال نعيم: سمعت هشيماً يقول: سمعت من أبى الزبير، فأخذ شعبة كتابى فمزّقه.

۵- قال عبدالرحمن بن أبى حاتم: سألت أبى عن أبى الزبير فقال:

يكتب حديثه ولايحتج به (۱).

۶- الترمذى: ذكر شعبة انّه ضعَّف أبا الزبير المكىّ (۲).

۷- قال أبو زرعة وأبو حاتم: لا يحتج به.

۸- وعن أبى عيينه: كان أبو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير إذا لم نجد عمرو بن دينار ذهبنا إليه.

۹- ابن أبى حاتم سألت أبا زرعة عن أبى الزبير فقال: يروى عنه الناس، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: انّما يحتج بحديث الثقات.

۱۰- قال شعبة: لم يكن فى الدنيا شىء أحبّ إلىَّ من رجل يقدم من مكة فأسأله عن أبى الزبير، فقدمت مكة، فسمعت منه، فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل يوماً فسأله عن مسألة، فقلت له: يا أبا الزبير تفترى على رجل مسلم! قال: انه أغضبنى، قلت: من يغضبك

۱- تهذيب الكمال ۲۶: ۴۰۷.

۲- الجامع الصحيح ۵: ۷۵۶.

ص: ۱۸۳

يُفترى عليه؟ لا رويتُ عنك حديثاً أبداً (۱).

وفي تهذيب التهذيب: فردّ عليه فافترى عليه- يعني أبو الزبير (۲).

والنتيجة: ان أبا الزبير ضعيف، ولا يحسن الصلاة، ولايحتج به وانه يفترى، وان شعبة مزّق كتابه، فهل يبقى مع هذا مجال للاعتماد عليه؟!!

اما الثالث: حفص بن غياث

۱- قال يعقوب بن شيبة: يُتّقى بعض حفظه (۳).

۲- وقال أبو زرعة: ساء حفظه بعدما استقضى (۴).

۳- وقال داود بن رشيد: حفص كثير الغلط (۵).

۴- عن أحمد: كان حفص يخلط كثيراً (۶).

۵- وعنه: ان حفصاً كان يدلّس (۷).

اما الرابع: محمد بن ربيعة: وهو أبو عبداللّه الكوفي الرواسي (۸) ۱- قال الساجي: فيه لين (۹).

۱- ميزان الاعتدال ۴: ۳۷.

۲- تهذيب التهذيب ۹: ۴۴۲.

۳- تهذيب الكمال ۷: ۵۶.

۴- المصدر نفسه.

۵- تاريخ بغداد ۸: ۱۹۹.

۶- سير أعلام النبلاء ۹: ۳۱.

۷- تهذيب التهذيب ۲: ۳۶۰.

۸- تهذيب الكمال ۲۵: ۱۹۶.

۹- تهذيب التهذيب ۹: ۱۴۳.

ص: ۱۸۴

۲- وقال الأزدى: فيه لين ونظر (۱).

۳- وقال عثمان بن أبى شيبة: جاء محمد بن ربيعة، فطلب أن نكتب عنه، فقلنا لاندخل فى حديثنا الكذّابين (۲).

واما الطريق الخامس: عبد الوارث، وهو بن سعيد بن ذكوان التميمى:

۱- قال البخارى: قال عبدالصمد: انه لكذوب على أبى (۳)..

۲- كماضعفه الدارقطنى، وقال بعد ذكر حديثٍ عنه: لايصح هذا.

۳- وقال ابن معين: انّه مجهول (۴).

۴- ونقل الترمذى عن البخارى: عبد الوارث منكر الحديث.

واما الطريق السادس: عبدالرزاق الصنعانى

فهو أيضاً ضعيف عندهم اما لأجل تشيّعه- على مبناهم من كون التشيّع ضعفاً- واما لأجل ضعفه فى السماع كما عن ابن حنبل، واما لُامور اخرى (۵).

والحاصل ان هذه الروايۀ مليئۀ بالسُقم السندى وضعف رجالها، فكيف اعتمد عليها الوهابيون؟ وكيف بنوا عليها آراؤهم الفقهيۀ، ومِن ثمَّ كفّروا المسلمين واستباحوا دماءُهم؟!

۱- ميزان الاعتدال ۳: ۵۴۵.

۲- ميزان الاعتدال ۳: ۵۴۵.

۳- تهذيب الكمال ۱۸: ۴۸۳.

۴- لسان الميزان ۲: ۶۷۸.

۵- تهذيب الكمال ۱۸: ۵۸، ميزان الاعتدال ۲: ۶۱، الجرح والتعديل ۶: ۳۸.

ص: ۱۸۵

هذا كلّه من حيث السند

واما البحث فى دلالة الحديث فهى:

أوّلًا: لا يدل الحديث على أكثر من النهى وهو على قسمين: نهى تحريم ونهى كراهة.

وكثيراً ما ورد النهى فى الأحاديث بمعنى الكراهة (۱) وهذه الكثرة توجب انصراف هذا الحديث- الذى فيه النهى- إلى الكراهة، ويضعف ظهورها فى الحرمة.

۱- قال الشافعى والأصحاب، يستحب أن لا يزاد القبر على التراب الذى اخرج منه؛ لهذا الحديث.

۲- قال السندى- نقلًا عن النيسابورى- بعد حديث النهى أن يكتب على القبر شىء، قال: «هذه الأسانيد صحيحة وليس العمل

۱- نهى النبى صلى الله عليه و آله عن أكل الثوم إلّامطبوخاً، نهى النبى عن الاختصار فى الصلاة، النهى عنالحجامة للصائم، النهى عن قتل النملة والنحلة، النهى عن فضل وضوء المرأة، النهى عن صوم يوم السبت، النهى عن ركوب الجلالة، النهى عن تلقى الركبان، النهى عن التحريش بين البهائم، النهى عن البصل والكراث، النهى عن بيع فضل الماء، النهى عن أن يكون الإمام مؤذناً، النهى عن السفر بالقرآن، النهى أن تسترضع الحمقاء، النهى عن البول قائماً، النهى عن البول فى المغتسل، النهى أن يبيع المهاجر لاعرابى. وعشرات الأحاديث بهذه المضامين، مما لم يتفوّه فقيه بالقول فيها بالحرمة بل حملت على الكراهة ليس إلّا.

وروايات النهى عن بناء القبور من هذا القبيل- لغلبة الاستعمال فى الكراهة:

أ- النهى عن تجصيص القبر.

ب- النهى عن العقد عليه.

ج- النهى عن البناء عليه.

د- النهى عن أن يكتب على القبر شىء.

ص: ۱۸۶

عليها فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب يكتبون على قبورهم وهو شيء أخذه الخلف عن السلف» (۱).

۳- قال النووى: اما البناء، فإن كان فى ملك البانى فمكروه، وإن كان فى مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الشافعى والأصحاب.. قال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه (۲).

ثانياً: ان هذه الأحاديث غير ناظرة إلى ما يكون تعمير القبر وتشييده والبناء فوقه، من تعظيم شعائر اللَّه وحرماته، لكون صاحبه نبيّاً أو وليّاً، أو لكونها بنيت لمصالح فى الدين مهمة؛ مثل أن تكون علامة ومناراً للقبر الذى ندب الشرع إلى زيارته وحفظاً له عن الاندراس. كما علّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبر عثمان بن مظعون، وعلمت فاطمة الزهراء عليها السلام قبر حمزة.

وفيما يلى الشواهد:

۱- ابن ماجه: «وقد علَّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه» (۳). وعقب الهيثمى عليه: وقال اسناد حسن (۴).

قال السندى فى توضيح الحديث: أى وضع عليه الصخرة ليتبيّن بها.

۲- وعن بعض الصحابة: لما مات عثمان بن مظعون اخرج بجنازته فدفن، فأمرَ النبى صلى الله عليه و آله رجلًا أن يأتى بحجرٍ فلم يستطع حمله،

۱- سنن النسائى ۴: ۸۷.

۲- شرح صحيح مسلم ۳: ۶۲.

۳- سنن ابن ماجه ۱: ۴۹۸.

۴- المصدر نفسه.

ص: ۱۸۷

فقام إليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحسَر عن ذراعيه.

قال الراوى: كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين حسر عنهما، ثم حمله فوضعه عند رأسه، وقال: أتعلَّم به قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى.

.. فلما ولّى مروان بن الحكم المدينة مرَّ على ذلك الحجر، فأمَرَ به فُرمى به، وقال: واللَّه لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أميهٔ، فقالوا: بئس ما صنعت فمُر به فليرد. فقال: اما واللَّه إذ رميت به فلا يُرد (۱).

۳- الأصبغ بن نباتهٔ: ان فاطمهٔ بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كانت تأتى قبر حمزهٔ، وكانت قد وضعت عليه علماً تعرفه (۲) وذكر ان قبر النبى صلى الله عليه و آله وأبى بكر وعمر كان عليهم النَقَل يعنى حجاراً صغاراً» (۳).

ثم ان الفوائد المترتّبهٔ على البناء ما يلى:

۱- تعظيم الشعائر وإرغام الأعداء والمنكرين.

۲- استظلال الزائرين بها من الحرّ والقرّ عند الزيارهٔ والصلاهٔ بجانبها التى ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها.

۳- قراءهٔ القرآن.

۴- التدريس.

۵- إلقاء المواعظ وغير ذلك..

۱- وفاء الوفاء ۳: ۸۹۴.

۲- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۴.

۳- المصدر نفسه.

ص: ١٨٨

ص: ۱۸۹

الفصل الثامن: الاسراج على القبور

اشارة

الاسراج

على القبور

۱- رأى الوهابية

۲- مناقشة الفكرة

۳- سيرة المسلمين

۴- مناقشة حديث المنع من الاسراج

ص: ١٩٠

ص: ۱۹۱

وقد منعه الوهابيون، محتجين بالحديث المتقدّم «لعن رسول اللّه زائرات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسُرُج» (۱).

والجواب:

أوّلًا: هذا الحديث ضعيف السند- كما مرّ-.

ثانياً: محمول على غير قبور الأنبياء والأولياء الذين دلّ الشرع على رجحان تعظيمهم، أحياءاً وأمواتاً.

ثالثاً: محمول على صورة عدم المنفعة، فيكون تضييعاً للمال، واما الإسراج لقراءة القرآن والأدعية، والصلاة وانتفاع الزائرين والبائتين فيها، فليس مكروهاً ولا- محرماً، وذلك للنفع الظاهر فى ذلك، فيكون من التعاون على البّر والتقوى، كما أشار إلى ذلك العزيزى والسندى والشيخ الحنفى والشيخ على منصور. وسيأتى تفصيل أقوالهم.

۱- سنن النسائى ۴: ۹۵، مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۰ الرقم ۱۳۸۴.

ص: ۱۹۲

والشاهد على ذلك:

فعل النبى صلى الله عليه و آله: فقد روى الترمذى عن ابن عباس: ان النبى صلى الله عليه و آله دخل قبراً ليلًا فاسرج له سراج (۱).

رابعاً: سيرة المسلمين

كما ان سيرة المسلمين- من قبل أن يولد ابن تيمية وبعده- كانت جارية على الاسراج والاضاءة على القبور والمشاهد:

۱- قنديل على قبر أبى أيوب الأنصارى:

قال الخطيب البغدادى: قال الوليد: حدّثنى شيخ من أهل فلسطين: انّه رأى بيّة بيضاء دون حائط القسطنطينية فقالوا: هذا قبر أبى أيوب الأنصارى صاحب النبى صلى الله عليه و آله فأتيت تلك البنية، فرأيت قبره فى تلك البنية وعليه قنديل (۲) معلّق بسلسلة» (۳).

والملاحظ أن وفاة الخطيب ۴۶۳ ه أى فى القرن الخامس ووفاة ابن تيمية فى القرن التاسع، والفرق الزمنى بينهما حوالى أربعمائة سنة فهذه العادة كانت جارية قبل أن يولد ابن تيمية ولم يُعهد من فقيه إسلامى أفتى بحرمة هذا المعنى، ولا عدّه من البدع والشرك.

۲- قناديل تنقل لقبر الزبير:

قال ابن الجوزى: «فمن الحوادث فى سنة ۳۸۶ ه أن أهل البصرة

۱- الجامع الصحيح ۳: ۳۷۲ ب ۶۲.

۲- وهو معروف يستضاء به، وفى الحديث: الرجل يصلّى وبين يديه قنديل» مجمع البحرين ۵: ۴۵۶ مادة قندل.

۳- تاريخ بغداد ۱: ۱۵۴.

ص: ۱۹۳

ادّعوا انهم كشـفوا عن قبر عتيق... وانه الزبير بن العوّام.. ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسمّادات واقيم فيه قوّامٌ وحفظة ووقف عليه وقوفاً» (۱).

الملاحظ: ان هـذا الاكتشاف ومن ثم عملية نقل القناديل ونصـبها على القبر، كان فى القرن الرابع، قبل أن يولد ابن تيمية بخمسة قرون ولم يعهد أيضاً من فقيه أفتى بحرمة نقل القناديل واستضاءة قبر الزبير أو قبر غيره.

۳- قناديل على قبر الكاظم عليه السلام:

قال الخطيب:.. وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحدّ.. (۲).

مناقشة الحديث

اما من حيث السند: فقد رواه الحاكم فى مستدركه بسندين ينتهيان إلى ابن عباس، ولكن فيهما: أبو صالح وهو باذان وليس: «السمان» المحتج به (۳) وأبو صالح هذا مردود.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا تحتج به.

وقال النسائى: ليس بثقة.

وقال ابن عدى: عامّة ما يرويه، تفسير، وما أقلَّ ما له فى

۱- المنتظم ۱۴: ۳۸۳.

۲- وفيات الأعيان ۵: ۳۱۰.

۳- تهذيب الكمال ۴: ۶.

ص: ۱۹۴

المسند... ولم أعلم أحداً من المتقدّمين رضيه» (۱).

و فی الحدیث طریقان آخران تعرضنا لها فی بحث زیارة النساء للقبور.

اما دلالة الحدیث:

۱- قال العزیزی فی شرح قوله صلی الله علیه و آله: والسُرُج» محل ذلک حیث لا ینتفع بها الأحیاء.. فإن کان هناک من ینتفع به صح ذلک» (۲).

۲- وقال السندی فی حاشیة سنن النسائی: «والنهی عنه لأنه تضییع مال بلا نفع. ومفاده: انه لا نهی حیث یکون هناک نفع (۳).

۳- الشیخ‌الحنفی‌فی الحاشیة: «یحرم إسراج القندیل علی قبر الولی ونحوه، حیث لم یکن ثمَّ من ینتفع به، لما فیه من إضاعة المال، لا لغرض شرعی» (۴).

۴- وقال الشیخ علی ناصف: «فلا یجوز السُرج علی القبور لأنها إضاعة مال، إلّاإذا کان هناک أحدٌ من الأحیاء فیجوز له الإسراج» (۵).

اذن: الحکم ارشادی لا مولوی، فهو إرشاد إلی عدم تضییع المال، فلو کان للإضاءة والسراج نفع عقلائی، فلا یشمله هذا الحدیث.

أضف إلی عدم إفادة اللعن الحرمة بل قد یکون محمولًا علی الفعل المکروه.

۱- الکامل فی الضعفاء ۲: ۷۱ وفیه باذام، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۰ الرقم ۱۳۸۴.

۲- شرح الجامع الصغیر ۳: ۱۹۸.

۳- سنن النسائی ۴: ۹۵.

۴- انظر کشف الارتیاب: ۳۳۹.

۵- التاج الجامع لُلاصول ۱: ۳۸۱.

ص: ۱۹۵

الفصل التاسع: النذر

اشارة

النذر

۱- دعوى الوهابية فى النذر لغير اللّه

۲- مناقشة الدعوى

۳- الروايات تؤكّد جواز ذلك

۴- سيرة المسلمين فى النذر

۵- آراء العلماء فى النذر لغير اللّه

ص: ۱۹۶

ص: ۱۹۷

ترى الوهابية حرمة النذر لغير اللّه وان ذلك يشبه النذر للأوثان وانه ينشأ من الغلو فى المنذور له.

۱- قال القصيمى: «إنها من شعائر الشيعة الناشئة عن غلوّهم فى أئمتهم وتأليههم لعلى وولده» (۱).

۲- وقال ابن تيمية: «قال علمائنا لايجوز أن يُنذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء، لا من درهم ولا من زيت، ولا من شمع، ولا من حيوان ولا غير ذلك، كلّه نذر معصية، وقد ثبت فى الصحيح: من نذر أن يطيع اللّه فليطعه، ومن نذر أن يعصى اللّه فلا يعصه» (۲).

وقال: «وإذا كان الطلب من الموتى- ولو كانوا أنبياء- ممنوعاً خشية الشرك، فالنذر للقبور، أو لسكّان القبور نذر حرام باطل يشبه

۱- الغدير ۵: ۱۸۰- كتاب الصراع ۱: ۵۴.

۲- كشف الارتياب: ۳۵۵.

ص: ۱۹۸

النذر للأوثان ومن اعتقد أنَّ فی النذر للقبور نفعاً أو أجراً فهو ضال جاهل» (۱).

مناقشة الفكرة

والجواب: أوّلًا: المقصود بالنذر نذر الصدقة وإهداء ثوابها إلى النبی أو الولی أو الصالح، ولا يقصد التقرّب إليه بالنذر بل إلى اللّه، كيف يقصد التقرّب إليه وهو يعلم انّه ميّت لايمكنه الانتفاع بالمنذور، لا يأكله إن كان طعاماً ولا ينفقه إن كان مالًا، ولا يلبسه إن كان ثياباً.

فالواجب عدم التسرّع فی التكفير والتهجّم على المسلمين بفتاوى غير مدروسة بل يجب حمل فعل المسلم على الصحّة، وينبغی الحذر من التهجّم مهما أمكن.

ثانياً: انَّ هذا النذر لا يزيد على من نذر لأبيه وامّه أو حلف أو عاهد أن يتصدَّق عنهما وقد ورد لزوم الوفاء به. كما روى عنه صلى الله عليه و آله انه قال للبنت التی نذرت لأبيها عملًا «فِی بنذرک».

اما اختيار بعض الأمكنة: فهو طلب لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة، كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات وهذا ممّا لا بأس به. ويدل عليه بعض الروايات:

الروايات والنذر

۱- روى عن ثابت بن الضحاک، عن النبی صلى الله عليه و آله: أنّ رجلًا سأله

۱- الملل والنحل: ۲۹۱.

ص: ۱۹۹

أنّه نذر أن يذبح ببوانه (۱)، فأتى رسول اللّه، فأخبره فقال صلى الله عليه و آله: هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟

قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أوفِ بنذرك، فانه لا وفاء لنذر فى معصية اللّه، ولا فيما لا يملك ابن آدم (۲).

۲- عن ميمونة: أن أباها قال للنبى صلى الله عليه و آله: انى نذرتُ أن أذبح خمسين شاة على بوانه، فقال: هناك شىء من هذه النُصُب؟ فقال: لا.

قال صلى الله عليه و آله: فأوفِ بنذرك، فذبح تسعاً وأربعين وبقيت واحدة، فجعل يعدو خلفها ويقول: اللهمّ اوفِ بنذرى حتى أمسكها فذبحها (۳).

وهذه الرواية لعلّها متحدة مع ما قبلها وإن اختلفت فى بعض العبارات.

ولعلّ سؤاله صلى الله عليه و آله: هل كان فيها وثن يعبد أو عيد من أعياد الجاهلية، خشية أن يكون النذر جارياً على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم.

ثالثاً: معنى النذر: هو أن يلزم الإنسان نفسه بأداء شىء معيّن إذا تحقق هدفه وقضيت حاجته، فيقول: للّهعلىّ أن أفعل كذا إذا كان كذا. وهذا هو النذر الشرعى. ففى قوله: نذرت لفلان مجازاً لِغاية الاختصار، إذ معناه: نذرت للّهعلى أن أفعل شيئاً يكون ثوابه لفلان.

۱- هضبة قريبة من ساحل البحر. معجم البلدان ۲: ۳۰.

۲- سنن أبى داود ۳: ۲۳۸ ح ۳۳۱۳.

۳- معجم البلدان ۲: ۳۰- و ۱: ۵۰۵.

ص: ٢٠٠

هل المشابهة توجب التكفير؟

ومن أعجب العجائب: تكفير ابن تيمية للمسلمين فى هذه النذور بحجّة أن عملهم فى النذر يشبه عمل المشركين.

فلو كان هذا هو الملاك، فهناك أعمال اخرى تشبه عمل المشركين؛ وذلك مثل كثير من مناسك الحج وفرائضه، تشبه فى ظاهرها أعمال المشركين: كالطواف حول البيت، والتقبيل، وذبح الذبائح و...

اضف الى ذلك: إن الملاك والمقياس هو النية القلبية لا التشابه.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: انّما الأعمال بالنيّات.

قال العزامى الشافعى: «من استخبر حال من يفعل ذلك من المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات إلّاالصدقة عنهم وجعل ثوابها لهم.

وقد علموا ان اجماع أهل السنّة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث فى ذلك صحيحة مشهورة:-

١- منها ما صحَّ عن سعد، انه سأل النبى صلى الله عليه و آله، قال: يا نبى اللّه ان امّى افتلتت (أى ماتت) وأعَلْمُ أنها لو عاشت لتصدقت أفإن تصدَّقتُ عنها أينفعها ذلك؟ قال: نعم.

فسأل النبىِّ: أىُّ الصدقة أنفع يارسول اللّه صلى الله عليه و آله؟

قال: الماء، فحفر بئراً وقال: هذه لُامّ سعد» (١).

١- فرقان القرآن: ١٣٣.

ص: ۲۰۱

وقد أخطأ ابن تيمية ومن حذا حذوه، فأدعى أن المسلم إذا قال:

هذه الصدقة للنبى صلى الله عليه و آله أو الولى، فاللام بنفسها هى اللام الموجودة فى قولنا: «نذرتُ للّه» ويراد منها الغاية. وقد غفل ابن تيمية أو تغافل عن أن العمل للّه، ويقصد «باللام» جهة المصرف للصدقة.

قال العزّامى: «اللام فى هذه لُام سعد هى اللام الداخلة على الجهة التى وجّهتْ إليه الصدقة لا على المعبود، المتقرّب إليه، وهى كذلك فى كلام المسلمين، فهم سعديون لا وثنيون، وهى كاللام فى قوله تعالى:

انّما الصدقات للفقراء (۱)» (۲).

سيرة المسلمين فى النذور

إنّ النذر بالذبح وغيره، للأنبياء والأولياء أمرٌ شائع بين المسلمين، ومعروف من سيرتهم، من دون اختصاص بفرقةٍ دون فرقة.

وانما يثاب به الناذر إن كان للّهوذبح باسم اللّه.

يقول الخالدى: «بمعنى أن الثواب لهم والمذبوح منذور لوجه اللّه كقول الناس: ذبحت لميتىّ بمعنى تصدقتُ عنه وكقول القائل: ذبحت للضيف بمعنى انه كان السبب فى حصول الذبح» (۳).

ويكفينا من الشواهد لسيرة المسلمين ثلاثة:

۱- قبر البستى بمراكش.

۱- التوبة: ۶۰.

۲- فرقان القرآن: ۱۳۳.

۳- صلح الاخوان: ۱۰۹، الغدير ۵: ۱۸۲.

ص: ۲۰۲

۲- قبر النذور ببغداد «قبر عبيد اللّه بن محمد بن عمر».

۳- قبر أحمد البدوى بطندتا.

۱- قبر البستى:

۱- أحمد بن جعفر الخزرجى أبو العبّاس البستى نزيل مراكش، المتوفى بها عام ۶۰۱ ه. «قبره مزار مزاحم عليه مجرّب الإجابة، زرته مراراً لاتحصى، وجربتُ بركته مرّة، وقال ابن الخطيب السلمانى:..

ويبلغ وارد ذلك المزار فى اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهب عين، وربّما وصل بعض الأيام ألف دينار، وتُصرف كلّها فى ذوى الحاجات المحتفين به من أهالى تلك الديار...» (۱).

قال صاحب نيل الابتهاج:... وإلى الآن ما زال الحال على ما كان عليه فى روضته من ازدحام الخلق عليها، وقضاء حوائجهم، وقد زرته ما يزيد على خمسمائة مرّة وبت هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة، وشاهدت بركته فى الامور..» (۲).

۲- الشيخ أحمد بن على البدوى المتوفى ۶۷۵ ه.. دفن بطندتا (۳)، وجعلوا على قبره مقاماً واشتهرت كراماته، وكثرت النذور إليه (۴).

۱- نيل الابتهاج ۲: ۶۲، الغدير ۵: ۲۰۴.

۲- المصدر السابق.

۳- لعل الصحيح هو طنبذة قرية من أعمال البهنسا من صعيد مصر، أو من نواحى أفريقيا. معجم البلدان ۴: ۴۳، أو طنطا، بلدة معروفة بمصر.

۴- المواهب اللدنية ۵: ۳۴۶.. شذرات الذهب ۷: ۶۰۵.

ص: ۲۰۳

۳- قبر عبيد اللّه بن محمد بن عمر:

هو ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. قال البغدادى:

«باب البردان فيها جماعة من أهل الفضل وعند المصلّى المرسوم بصلاة العيد قبر كان يُعرف بقبر النذور ويقال: ان المدفون فيه رجلٌ من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه يتبرّك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حدّثنى القاضى أبو القاسم التنوخى: قال: حدّثنى أبى، قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة (۱) ونحن مخيمون بالقرب من مصلّى الأعياد فى الجانب الشرقى من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان فى أوّل يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذى على قبر النذور.

فقال لى: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل: قبره، لعلمى بطيرته من دون هذا واستحسن اللفظة، قال: قد علمتُ أنه قبر النذور وإنّما أردتُ شرح أمره. فقلت: هذا يقال إنّه قبر عبيداللّه بن محمد بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ويقال: إنّه قبر عبيداللّه بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب وان بعض الخلفاء أراد قتله خفيةً فجعلت له هناك زبية وسيِّر عليها، وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حيّاً، وانّما شهر بقبر النذور لأنّه ما يكاد يُنذر له نذرٌ إلّاصحَّ وبلَغ الناذر ما يريد. ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحدُ مَن

۱- صاحب العراق ابن السلطان حسن بن بويه الديلمى: انظر سير أعلام النبلاء ۱۶: ۲۴۹، ماتعام ۳۷۲ ه. ودفن بالنجف الأشرف.

ص: ۲۰۴

نـذر له مراراً لا احصـیها کثرهٔ نـذوراً علی امور متعـذرهٔ فبلغتها ولزمنی النذر فوفیت به. فلم یتقبل- عضد الدولهٔ- هذا القول وتکلّم بما دل علی ان هـذا انمـا یقع منه الیسـیر اتفاقاً فیتسوق العوام بأضـعافه ویُسـیِّرون الأحادیث فیه. فأمسـکتُ فلما کان بعـد أیام یسـیرهٔ ونحن معسـکرون فی موضـعنا اسـتدعانی فی غدوهٔ یوم وقال: ارکب معی إلی مشهد النذور. فرکبت ورکب فی نفر من حاشیته إلی أن جئت به إلی الموضع فدخله وزار القبر وصلّی عنده رکعتین سـجد بعدهما سـجدهٔ، أطال فیها المناجاهٔ بما لم یسمعه أحد، ثم رکبنا معه إلی خیمـهٔ وأقمنا أیّاماً ثمَّ رحل ورحلنا معه یریـد همذان فبلغناها، وأقمنا فیها معه شـهوراً فلما کان بعد ذلک، اسـتدعانی، وقال لی: ألسـتَ تـذکر ما حـدّثتنی به فی أمر مشـهد النـذور ببغـداد؟ فقلت: بلی. فقال: انی خاطبتک فی معناه بدون ما کان فی نفسـی اعتماداً لاحسان عشرتک.

والذی کان فی نفسی فی الحقیقهٔ أنَّ جمیع ما یقال فیه کذب.

فلما کان بعـد ذلک بمُدَیدَهٍ، طرقنی أمرٌ خشـیتُ أن یقع ویتمّ وأعملتُ فکری فی الاحتیال لزواله ولو بجمیع ما فی بیوت أموالی وسائر عساکری، فلم أجـد لـذلک فیه مـذهباً، فذکرت ما أخبرتنی به فی النذور لمقبرهٔ النذور، فقلت: لِمَ لا اجرّب ذلک؟ فنذرت: إن کفانی اللَّه تعـالی ذلـک الأـمر أن أحمل لصـندوق هـذا المشـهد عشـرهٔ آلاف درهم صـحاحاً، فلما کان الیوم جاءتنی الأخبار بکفایتی ذلک الأـمر، فتقـدّمت إلی أبی القـاسم- کـاتبه- أن یکتـب إلی أبی الریـان، وکـان خلیفتـه ببغـداد- یحملهـا إلی المشـهد، ثـم التفـت إلی عبدالعزیز- وکان حاضراً-

ص: ۲۰۵

فقال له عبدالعزيز: قد كتبتُ بذلك ونفذ الكتاب (۱).

آراء العلماء فى النذر:

۱- قال الخالدى: بعد ذكر حديثى أبى داود: «وأما استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر فى أماكن الأنبياء والصالحين زاعمين أنَّ الأنبياء والصالحين أوثان- والعياذ باللَّه- وأعيادٌ من أعياد الجاهليـة، فهو من ضـلالهم وخرافاتهم وتجاسـرهم على أنبياء اللَّه وأوليائه حتى سمّوهم أوثاناً.

وهـذا غايـة التحقير لهم خصوصـاً الأنبيـاء فـإنَّ من انتقصـهم ولو بالكنايـة يكفِّر ولا تُقبـل توبته فى بعض الأقوال. وهؤلاء المخـذولون بجهلهم، يسمّون التوسّل بهم عبادة، ويسمّونهم أوثاناً، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم، واللَّه أعلم» (۲).

كما لا عبرة بجهالة ابن تيمية ومن لف لفّه وضلالاتهم (۳).

۳- وقال الرافعى- نقلًا عن صاحب التهذيب وغيره- أنه لو نذر أن يتصدّق بكذا على أهل بلدٍ عيّنه، يجب أن يتصدّق به عليهم.

قـال: ومن هـذا القبيـل ما ينـذر بعثه إلى القبر المعروف بجرجان، فإنَّ ما يجتمع منه على ما يحكى، يُقسَّم على جماعـة معلومين، وهـذا محمولٌ على أنّ العرف اقتضى ذلك فنزل النذر عليه.

۱- تاريخ بغداد ۱: ۱۲۳.

۲- صلح الاخوان: ۱۰۹.

۳- الغدير ۵: ۱۸۳.

ص: ۲۰۶

ولاشكّ انّه إذا كان عُرفٌ حُمِلَ عليه، وإن لم يكن عرف فيظهر أن يجرى فيه خلاف وجهين:

أحدهما لا يصح النذر لأنه لم يشهد له الشرع، بخلاف الكعبة والحجرة الشريفة.

والثانى: يصحُّ إذا كان مشهوراً بالخير، وعلى هذا ينبغى أن يُصرف فى مصالحه الخاصّة، ولا يتعداها.

واستقرب السُبكى بطلان النذر فى صورة عدم العرف هناك للصرف (۱).

۲- وقال الخالدى أيضاً: «إنَّ المسألة تدور مدار نيّات الناذرين وإنّما الأعمال بالنيّات، فإن كان قصد الناذر، الميّت نفسه والتقرّب إليه بذلك، لم يجز قولًا واحداً، وإن كان قصده وجه اللّه تعالى، وانتفاع الأحياء بوجه من الوجوه، وثوابه لذلك المنذور له الميت، سواء عيّن وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه. ويكون هناك ما يطَّرد الصرف فيه فى عرف الناس من مصالح القبر أو أهل بلده أو مجاوريه أو الفقراء عامة أو أقرباء الميت أو نحو ذلك، ففى هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور.

وحكى القول بذلك عن الأذرعى، والزركشى، وابن حجر الهيثمى المكى، والرّملى الشافعى، والقبانى البصرى، والرافعى، والنووى، وعلاء الدين الحنفى، وخير الدين الرملى الحنفى، والشيخ

۱- انظر فتاوى السُبكى ۱: ۲۹۴، الغدير ۵: ۱۸۱.

ص: ۲۰۷

محمد الغزی، والشیخ قاسم الحنفی» (۱).

۴- وقال العزامی: «.. واغترّ بکلامه- أی ابن تیمیهٔ- بعض من تأخّر عنه من العلماء، ممّن ابتلی بصحبته أو صحبهٔ تلامیذه، وهو منه تلبیسٌ فی الدین وصرف إلی معنی لا یریده مسلم من المسلمین. ومن خبر حال من فعل ذلک من المسلمین، وجدهم لایقصدون بذبائحهم ونذورهم للمیتین من الأنبیاء والأولیاء إلّاالصدقهٔ عنهم وجعل ثوابها إلیهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنّهٔ منعقد علی أنَّ صدقهٔ الأحیاء نافعهٔ للأموات واصلهٔ إلیهم، والأحادیث فی ذلک صحیحهٔ مشهورهٔ..

فالنذر بالذبح وغیره للأنبیاء والأولیاء أمرٌ مشروع سائغ من سیرهٔ المسلمین عامّهً من دون أی اختصاص بفرقهٔ دون اخری...» (۲).

وبعد هذه الأدلهٔ والشواهد وکلمات أعلام السنهٔ، فهل یحق لابن تیمیهٔ وأتباعه الاصرار علی مزاعمهم والتفوّه بحرمهٔ النذر لغیر اللّه.

۱- صلح الاخوان: ۱۰۲، انظر الغدیر ۵: ۱۸۱.

۲- فرقان القرآن: ۱۳۳، انظر الغدیر ۵: ۱۸۱.

ص: ٢٠٨

ص: ۲۰۹

الفصل العاشر: الحلف بغير اللّه

اشارة

الحلف بغير اللّه

۱- دعوى الوهابية

۲- مناقشة الدعوى

۳- صدور الحلف من النبى صلى الله عليه و آله

۴- محاولات ابن عبد البر

۵- تقرير النبى والصحابة وغيرهم

۶- مناقشة رواية ابن عمر

ص: ٢١٠

ص: ٢١١

لقد منعت الوهابية الحلف بغير اللّه، وبعضهم جعله شركاً على الإطلاق، وبعضهم جعله من الشرك الأصغر.

قال ابن تيمية: الشرك شركان: أكبر، وله أنواع ومنه.. طلب الشفاعة من المخلوق، والتوسل وغيره.

وأصغر: كالرياء والسمعة، ومنه الحلف بغير اللّه، لما روى عن ابن عمر: عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله من حلف بغير اللّه فقد أشرك و.. والشرك الأصغر لا يُخرج عن الملة وتجب التوبة منه (١).

وقال الصنعانى فى «تطهير الاعتقاد» بعدما ذكر أن القبوريين سلكوا مسلك المشركين حذو القذة بالقذة، وعَدَّ أعمالهم الموجبة لذلك، قال: ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم اللّه تعالى لم يقبل منه، فإذا حلف باسم ولىٍّ من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا

١- رسائل الهدية: ٢٥.

ص: ٢١٢

كانت عبادة الأصنام (١).

مناقشة الفكرة

أوّلًا: وقع الحلف بغير اللّه، من اللّه، ومن النبى، ومن الصحابة والتابعين ومن جميع المسلمين خلفاً عن سلف.

أمّا من اللّه تعالى: والعصر، والعاديات، والنازعات، والناشطات، والمرسلات، والذاريات، فالجاريات. والتين، والضحى، والسماء ذات البروج، والنجم إذا هوى، والفجر وليالٍ عشر، ن والقلم، لا- أقسم بيوم القيامة، فلا- أقسم بالخنّس الجوار الكنس، لعمرك انهم لفى سكرتهم..

إن قلت: إن جوازه من اللّه لا يستلزم جوازه من الناس.

قلت: إن صدوره من اللّه يدل على انّه لا قبح فيه. وإذا كان اللّه قد جعل لنفسه شريكاً، وأشرك بالشرك الأصغر- تعالى عن ذلك- فما على من اقتدى به فى ذلك بأس!!

لأن ما يقبح من العبد لكونه شركاً أصغر وتشبيهاً للخلق فى العظمة باللّه تعالى لايمكن أن يحسن منه تعالى، إذ صدوره منه- تعالى- لايخرجه عن تلك الصفة- إن كانت- وهى الشرك الأصغر!!

ثانياً: صدور الحلف- بغير اللّه- من النبىّ صلى الله عليه و آله

١- جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللّه صلى الله عليه و آله أى الصدقة

١- انظر كشف الارتياب: ٣٣٥.

ص: ۲۱۳

أعظم أجراً؟ فقال: اما وأبيک لتنبّئنّه، أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء (۱).

۲- جاء رجل إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله من أهل نجد يسأل عن الإسلام فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: خمس صلوات فى اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحد، يقول: هل علىّ غيرها؟ وهو يقول: لا، إلّاأن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: واللّه، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أفلحَ وأبيه إن صدق، أو دخل الجنّة وأبيه إن صدق (۲).

محاولات ابن عبد البر

حكى القسطلانى عن ابن عبد البر: أن هذه اللفظة- منكرة، غير محفوظة، تردَّها الآثار الصحاح (۳).

۱- صحيح مسلم ۴: ۴۱۹.

۲- صحيح مسلم ۴: ۲۲۴ كتاب الايمان ونماذج اخرى كثيرة منها:

أ- وأبيک لو طعنت فىفخذها لأجزأتک. السنن‌الكبرى ۹: ۲۴۶، تاريخ بغداد ۱۲: ۳۷۷.

ب- لعمرى ما نفعناک لتنزل عنه. مجمع الزوائد ۹: ۱۲.

ج- لعمرى إن قلتم فى امارته لقد قلتم فى إمارة أبيه. الطبقات الكبرى ۴: ۴۸.

د- لعمرى لأن تكلّم بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت. مسند أحمد ۵: ۲۲۵.

ه- لعمرى انى لاولكم قوماً. مسانيد ۲: ۶۱۹.

۳- إرشاد السارى ۹: ۳۵۷.

ص: ۲۱۴

أقول: بل یعضدها حدیث: اما وأبیک لتنبأنه.

قال: وقیل انها مصحّفة من قول واللّه.

قال القسطلانی: وهو محتمل ولکن مثل هذا لا یثبت بالاحتمال، سیما وقد ثبت فی لفظ أبی بکر فی قصة السارق الذی سرق حلی ابنته.

فقال: وأبیک ما لیلک بلیل سارق (۱).

ثم أضاف القسطلانی: وأحسن الأجوبة ما عن البیهقی وارتضاه النووی وغیره: إن هذا اللفظ کان یجری علی ألسنتهم من غیر أن یقصدوا به القسم، أو أنّ التقدیر: أفلح ورب أبیه (۲).

أجاب السیّد محسن الأمین رحمه الله: ان العرب تقصد به القَسَم، وإلا کان اتیانه عبثاً وهذراً والحذف لا دلیل علیه (۳).

تقریر النبی صلی الله علیه و آله

قال أبو طالب عمّ النبی صلی الله علیه و آله ضمن أبیات له:

کذبتم وبیت اللّه یُبزی محمدٌ ولما نطاعن دونه ونناضل (۴)

فسمع ذلک رسول اللّه (ص) ینکره

۱- ارشاد الساری ۹: ۳۵۷.

۲- کشف الارتیاب: ۲۷۱.

۳- المصدر نفسه.

۴- ایمان أبی طالب ۳۳۹/ فخار بن معد الموسوی، منیة الراغب فی ایمان ابی طالب: ۱۲۲ للشیخ محمد رضا الطبسی رحمه الله، شرح النهج ۱۴: ۷۹.

ص: ٢١٥

تقرير الصحابة وفعلهم:

١- قال عبداللَّه بن جعفر: كنت إذا سألتُ عمّى عليّاً عليه السلام شيئاً ويمنعنى، أقول له: بحق جعفر فيعطينى (١).

فلم ينكره عليه، ولم يردعه، بل يلبّى دعوته، بعد هذا القسم.

٢- قول أبى بكر للسارق: وأبيك ماليلك بليل سارق (٢).

٣- كتاب على لمعاوية: ولعمرى يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان (٣).

٤- وفى كتاب آخر: فلعمرى لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك (٤).

٥- وفى كتاب معاوية لعلى عليه السلام فإن كنتَ ابا حسن انما تحارب عن الامارة والخلافة، فلعمرى لو صحت لكنتَ قريباً من ان تُعذر فى حرب المسلمين (٥).

٦- الحسين بن على عليه السلام:

لعمرك اننى لأُحب داراً تَحُلَّ بها سكينة والرباب (٦)

١- شرح ابن أبى الحديد ١٥: ٧٣.

٢- يراجع كشف الارتياب ص ٢٧١ قال العلّامة الأمينى أخرجه فى الموطأ وغيره ولم نعثر عليه لافى الحدود ولا فى الايمان والنذور.

٣- نهج البلاغة، للشيخ عبده: ٥٢٦ رقم الكتاب ٦.

٤- نهج البلاغة كتاب ٩.

٥- كشف الارتياب: ٣٣٩.

٦- تذكرة الخواص: ٢٣٣، الفصول المهمة: ١٨٣، البداية والنهاية ٨: ٢٠٩، الأغانى ١٦: ١٣٩، المعارف لابن قتيبة: ٢١٣، اعلام النساء المؤمنات: ٤٣١.

ص: ۲۱۶

۷- وقال على الأكبر يوم كربلاء:

انا على بن الحسين بن على نحن- وبيت اللَّه- اولى بالنبى (۱)

۸- عبداللَّه بن عمر العنسى: وكان هذا من عبّاد أهل زمانه، لمّا سمع رواية عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه و آله أن عماراً تقتله الفئة الباغية، خرج ليلًا فأصبح فى عسكر على عليه السلام وحدّث الناس بقول عمرو وأنشد:

والراقصات بركب عامدين له ان الذى جاء من عمرو لمأثور

ما فى مقال رسول اللَّه فى رجل شكّ ولا فى مقال الرسل تحيير (۲)

مسروق يحلف بقبر النبى صلى الله عليه و آله:

۱۰- عائشة: قال لها مسروق سألتك بصاحب هذا القبر، ما الذى سمعت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى حق الخوارج؟ قالت: سمعته يقول: انّهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خيرُ الخلق والخليقة وأقربهم عند اللَّه وسيلة (۳).

۱- تاريخ الطبرى ۳: ۳۳۰.

۲- وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ۳۴۴.

۳- كشف الارتياب: ۳۴۰، انظر البداية والنهاية ۸: ۳۱۵، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۲: ۲۶۷ عن مسند أحمد، بحار الأنوار ۳۳: ۳۳۹ و ۳۸: ص ۱۹ كلاهما عن شرح نهج البلاغة هذا ولم نعثر عليه فى مسند أحمد عبر الفهارس لعل الحديث فاتهم او لم يفهرسوه عمداً كما هو دأبُ بعضهم فى ترك فهرسة ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام.

ص: ۲۱۷

فهنا: نرى أن مسروق حلف بصاحب القبر.. ولم تردعه عائشة.

مناقشة حديث عبداللّه بن عمر:

روى الترمذى: ان ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال:

لا تحلف بغير اللّه فانّى سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: من حلف بغير اللّه فقد كفر (۱).

فهذه على فرض صحّة السند، محمولة على الكراهة الشديدة، وامّا: على صورة اعتقاد التعظيم فى المحلوف به، ما يعتقده فى اللّه عزّوجلّ.

قال القسطلانى: والتعبير بالكفر والشرك للمبالغة فى الزجر والتغليظ.

وهل النهى للتحريم أو للتنزيه؟ المشهور عند المالكية: الكراهة وعند الحنابلة التحريم، وجمهور الشافعية: التنزيه.

وقال إمام الحرمين: المذهب القطع بالكراهة.

وقال غيره: بالتفصيل: فإن اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقده فى اللّه، حرم وكفر بذلك الاعتقاد، وإن حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر (۲).

۱- إرشاد السارى ۹: ۳۵۸.

۲- المصدر نفسه.

ص: ٢١٨

ص: ۲۱۹

الفصل الحادی عشر: الاحتفالات

اشارة

الاحتفالات

۱- دعوی الوهابیة ودلیلهم

۲- مناقشة الدلیل

۳- سیرة المسلمین

۴- الفتاوی وکلمات العلماء

۵- مناقشة دلالة الحدیث

۶- مناقشة سند الحدیث

۷- تفسیر الحدیث ومفاده

ص: ٢٢٠

ص: ۲۲۱

تزعم الوهابیة ان من المنکرات: تکریم مولد النبی صلی الله علیه و آله بالاحتفال وقراءة القرآن وإنشاد القصائد، والإحسان إلی المؤمنین بالإطعام.

وفیما یلی عرض آرائهم وأدلّتهم:

۱- ابن تیمیة: «إن اتخاذ هذا الیوم عیداً، محدثٌ لا أصل له، فلم یکن فی السلف لا من أهل البیت ولا غیرهم من اتخذ ذلک عیداً، حتی یحدث فیه اعمالًا.. وانّما یفعل مثل هذا: النصاری الذین یتّخذون أمثال أیام حوادث عیسی علیه السلام أعیاداً أو الیهود، أو..

وکذلک ما یحدثه بعض الناس اما مضاهاةً للنصاری فی میلاد المسیح، وامّا محبّة للنبی صلی الله علیه و آله وتعظیماً له.. فإن هذا لم یفعله السلف، ولو کان خیراً محضاً أو راجحاً لکان السلف أحقَّ به مِنّا» (۱).

۲- وقال عبدالرحمن بن حسن آل شیخ: «قد أحدث هؤلاء

۱- اقتضاء الصراط المستقیم: ۲۹۳.

ص: ۲۲۲

المشركون أعياداً عند القبور التى تعبد من دون اللّه، ويسمّونها عيداً كمولد البدوى بمصر وغيره، بل هى أعظم، لما يوجد فيها من الشرك والمعاصى العظيمة (۱).

۳- وقال محمد حامد الفقى: «والمواليد والذكريات التى ملأتْ البلاد باسم الأولياء هى نوع من العبادة لهم وتعظيمهم» (۲).

واستدلّوا لرأيهم:

۱- بما رواه أبو هريرة: «لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلّوا علىَّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنت» (۳).

۲- وما روى عن النبى صلى الله عليه و آله: نهى أن يُتّخذ- القبور- عيداً.

مناقشة الفكرة:

أوّلًا: فرق بين التكريم والعبادة، وذلك لأن العنصر المقوّم للعبادة هو الاعتقاد بألوهية المعبود، أو ربوبيّته، أو كونه مفوّضاً إليه فعل الربّ، وليس فى الاحتفال شىء من ذلك.

وفى التكريم: تجسيد للأصل الوارد فى القرآن الكريم والروايات، وهو حب النبى صلى الله عليه و آله على وجه يكون النبى صلى الله عليه و آله مقدّماً عند الإنسان على نفسه.

امّا فى القرآن:

۱- كشف الارتياب: ۴۴۸.

۲- انظر الملل والنحل للسبحانى ۴: ۳۲۰.

۳- مسند أحمد ۳: ۲۴۸.

ص: ۲۲۳

فقوله تعالى: قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُّ إليكم من اللَّه ورسوله وجهادٍ فى سبيله فتربّصوا حتى يأتى اللَّه بأمره واللَّه لايهدى القوم الفاسقين (۱).

واما فى الحديث: فعن النبى صلى الله عليه و آله: «لايؤمن أحدكم حتى أكون [أنا وأهل بيتى] أحبَّ إليه من نفسه (۲) [وبنيه والناس جميعاً]» (۳).

فعلى قول حامد الفقى وغيره من الوهابيين أن يفرّقوا بين العبادة والتكريم، قبل أن يتهجّموا على من يقوم بالاحتفالات و..

ثانياً: ان الأصل فى الأشياء هو الجواز ما لم يقم عليه منع شرعى، كما صرح ابن تيمية بهذا الأصل، حيث قال:

«إنّ الأصل فى العادات عدم الحظر إلّاما حظره اللَّه» (۴).

وعليه: أولًا لم يرد منع شرعى عن الاحتفال، وما روى فسيأتى البحث فيه وانّه ضعيف سنداً ودلالةً.

ثانياً: وإن لم يكن لإقامة الاحتفال نصّ على الجواز ولكن يُعرف

۱- التوبة: ۲۳.

۲- الدر المنثور ۳: ۲۲۳.

۳- منتهى الآمال ۲: ۶۴۷، وفى البحار عن امالى الصدوق: لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهلى أحبّ إليه من أهله، وعترتى أحبَّ إليه من عترته، وذاتى أحب إليه من ذاته فقال رجل من القوم: يا أبا عبدالرحمان ما تزال تجيىء بالحديث يحيى اللَّه به القلوب» ۲۷: ص ۷۵ وص ۸۶، أحمد ۳: ۲۰۷- و ۴: ۳۳۶، انظر مصادره «موسوعة أطراف الحديث النبوى ۷: ۳۱۲».

۴- المجموع ۴: ۱۹۵.

ص: ۲۲۴

مشروعيته وجوازه من خلال الأصل المسلّم المتخذ من الكتاب والسنة، وهو حبّ النبيّ وأهل بيته، فالمنع عنه، يُعدّ مخالفة لإظهار هذا الحبّ ويكون إظهاراً للحقد والضغن الكامن فى القلب.

ثالثاً: إن ابن تيمية جعل المقياس فى الحلية والحرمة فعل السلف، فهل المقياس هو فعل السلف أم الكتاب والسنّة؟

ولو سلمنا ان السلف هو المقياس، فإنّهم قد أقاموا الاحتفالات على مر الأزمان ويشهد له نص المؤرّخين والمحدِّثين:

۱- قال القسطلانى: «ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم.. فرحم اللّه إمْرأً اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشدّ علةٍ على من فى قلبه مرض وإعياء داء» (۱).

۲- وقال الدياربكرى: «لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه، بأنواع الصدقات، يظهرون السرور ويزيدون فى المبرّات ويعتنون بقراءة مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كلُّ فضلٍ عميم» (۲).

فهذا هو فعل السلف وإجماع المسلمين فى عصور مختلفة ومتمادية.. وقد يرون حجّية الإجماع فى عصر واحد، فكيف بإجماعهم فى عصور مختلفة، وهل يحق بعد ذلك أن يقول ابن تيمية: «فإنّ هذا لم يفعله السلف..»؟!

۱- المواهب اللدنية ۱: ۲۷.

۲- تاريخ الخميس ۱: ۳۲۳.

ص: ۲۲۵

رابعاً: کلمات العلماء:

۱- قال ابن عباد: «اما المولد، فالذی یظهر لی انه عید من أعیاد المسلمین وموسم من مواسمهم، وکلّ ما یفعل فیه ممّا یقتضیه وجود الفرح والسرور بذلک المولد المبارک.. أمرٌ مباح لا منکر» (۱).

۲- القسطلانی: «رحم اللّه إمرأ اتخذ لیالی شهر مولده المبارک أعیاداً لیکون أشدَّ علة علی من فی قلبه مرض واعیاء داء» (۲).

۳- یقال إن ممّن سبق فی احیاء الاحتفالات هو أبو سعید الأربلی عام ۶۳۰ ه.

وربّما یقال: إنّ أوّل من أحدثه بالقاهرة: الخلفاء الفاطمیون أوّلهم:

المعجز لدین اللّه، توجّه من المغرب إلی مصر فی شوّال عام ۳۶۱ ه، وقیل فی ذلک غیره (۳).

تدل هذه الشواهد التاریخیة علی ان المسلمین احتفلوا أزماناً لیست بالقصیرة من دون معارضةٍ صریحة ولا ضمنیة من سائر المسلمین ولا من فقهائهم.

مناقشة الحدیث «لا تجعلوا قبری عیداً»

أوّلًا: ان أحمد بن حنبل نقلها بعبارة اخری وهی: «عن سهیل بن أبی صالح: «... اللهم لاتجعل قبری وثناً» (۴).

۱- المواسم والمراسم: ۲۰ نقلًا عن القول الفصل بمولد خیر الرسل: ۱۷۵.

۲- المواهب اللدنیة ۱: ۲۷.

۳- الملل والنحل للسبحانی ۴: ۳۲۳.

۴- مسند أحمد ۲: ۲۴۶.

ص: ۲۲۶

وعليه فيحتمل الخطأ فی النقل، وان الوارد عن النبی هو «وثناً» بأن يحذّرهم من اتخاذهم قبره مسجداً يسجد له أو يُجعل قبلة يتوجّه إليه فی الصلاة.

ثانياً: إن العيد لغة هو الموسم وعليه فلا يصح أن يقع خبراً لقوله «قبری» إذ لا معنی لجعل القبر عيداً، وإنّما يصحّ جعل موسم أو يوم مشخّص عيداً، فيقال مثلًا: موسم الحج عيد، أو يوم الجمعة عيدٌ.

ثالثاً: إن الحديث علی النقلين «عيداً- وثناً» ضعيف السند، إذ علی النقل الأول: فی سنده سهيل ابن أبی صالح وعلی النقل الثانی فی سنده عبداللّه بن نافع وكلاهما ممّن لايُحتج بحديثهما:

اما سهيل بن أبی صالح:

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال ابن المدينی: مات أخٌ لسهيل ووجد- حزن- عليه، فنسی كثيراً من الحديث.

وقال ابن معين: ضعيف.

واما الراوی الثانی: «عبداللّه بن نافع».

قال البخاری: يعرف حفظه وينكر.

وقال ابن حنبل: «لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفاً، ولم يكن فی الحديث بذاك» (۱).

وقال الرازی: ليس بالحافظ هو لين تعرف حفظه وتنكر (۲).

۱- ميزان الاعتدال ۲: ۲۴۳، انظر: تهذيب الكمال ۱۲: ۲۲۳.

۲- الجرح والتعديل ۵: ۱۸۴، شفاء السقام: ۸۰.

ص: ٢٢٧

تفسير الحديث ومفاده:

١- يحتمل أن يكون المراد به: الحثّ على كثرةِ زيارة النبى صلى الله عليه و آله وان لايهمل حتى لايزار إلّافى بعض الأوقات كالعيد الذى لايأتى فى العام إلّامرّتين (١)، بمثابة العيد، وهذا هو رأى المنذرى (٢).

٢- ويحتمل أن يكون المراد: لاتتخذوا وقتاً مخصوصاً لاتكون الزيارة إلّافيه، كما ترى ان كثيراً من المشاهد لزيارتها يوم معيّن كالعيد، وهذا هو رأى السبكى (٣).

٣- ويحتمل أن يكون المراد: أن لاـ يجعل كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك، ممّا يعمل فى الأعياد، بل: لابد وأن لايؤتى إلّاللزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه.

وهو المتبادر من كلام الخفاجى الحنفى (۴).

۴- ويحتمل أن يكون المراد: ان اجتماعهم عند قبره، ينبغى أن يكون مصحوباً بالخشوع والتأمّل والاعتبار حسبما يناسب حرمته واحترامه، فإنَّ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً، فلا يكون ذلك مصحوباً باللهو واللعب والغفلة والمزاح ممّا اعتادوه فى أعيادهم» (۵).

١- شفاء السقام: ٨٠ عن المنذرى.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

۴- شرح الشفا ٣: ۵۶۶.

۵- المواسم والمراسم: ٧١.

ص: ۲۲۸

۵- قال الخفاجی الحنفی: واما قوله صلی الله علیه و آله: لاتتخذوا قبری عیداً، فقیل: کره الاجتماع عنده فی یوم معیّن علی هیئة مخصوصة.

وقیل: المراد لا تزوروه فی العام مرّة فقط بل أکثروا الزیارة له.

واما احتماله للنهی عنها فهو بفرض أنه المراد محمول علی حالة مخصوصة، أی لاتتخذوه کالعید فی العکوف علیه، واظهار الزینة عنده وغیره ممّا یُجْتَمع له فی الأعیاد. بل لایؤتی إلّاللزیارة والسلام والدعاء ثم ینصرف.

وقال أیضاً فی ص ۵۷۷ فی شرح الحدیث: أی کالعید باجتماع الناس، وقد تقدّم تأویل الحدیث وانه لا حجّة فیه لما قال ابن تیمیة وغیره فإن إجماع الامّة علی خلافه، یقتضی تفسیره بغیر ما فهموه فانّه نزعة شیطانیة» (۱).

۱- نسیم الریاض فی شرح الشفا ۳: ۵۲۳ و ۵۱۴، انظر الغدیر ۵: ۱۱۹.

ص: ٢٢٩

الخاتمة: كتب فى ردّ الوهّابية

لائحة: بأسماء كتب فى رد الوهابيّة:

ألَّف العلماء فى الرد على الوهابية عشرات الكتب، والجدير بالذكر هو أن المؤلِّفين لم يكونوا من الإمامية فحسب، بل من كافّة المذاهب الإسلامية بمن فيهم: الحنابلة (١).

وفيما يلى لائحة بأسماء بعض تلك الكتب؛ على الترتيب الهجائى:

١- ابن تيمية حياته وعقائده، صائب عبد الحميد، معاصر.

٢- الآيات الجليلة للشيخ مرتضى كاشف الغطاء ت ١٩٣١ ه.

٣- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس. وعهد الأمان، لأحمد بن أبى الضيّاف.

٤- الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية، لأبى العون السفارينى الحنبلى ت ١١٨٨ ه.

٥- الأجوبة النعمانية عن الأسئلة الهندية، خير الدين الآلوسى ١٣١٧ ه.

١- بلغ عدد الردود من علماء السنّة أكثر من أربعين كتاباً، انظر: بحوث فى الملل والنحل ۴: ٣٥۴.

ص: ۲۳۰

۶- الآيات البيّنات فى قمع البدع والضلالات. فيها نقض فتاوى الوهابية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ۱۳۷۳ ه.

۷- الوهابية فى الميزان، للشيخ جعفر السبحانى، معاصر.

۸- الأرض والتربة الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ۱۳۷۱ ه.

۹- إزاحة الغى فى الرد على عبد الحى للسيد على بن الحسن العسكرى ۱۲۴۰ ه. ردّاً على الصراط المستقيم لعبد الحى حول منع إقامة العزاء.

۱۰- إزاحة الوسوسة، عن تقبيل الأعتاب المقدّسة، للشيخ عبداللّه المامقانى ت ۱۳۵۱ ه.

۱۱- إزهاق الباطل، للميرزا محمد بن عبدالوهاب الكاظمى ۱۳۰۳ ه.

۱۲- الإسلام السعودى الممسوخ، للسيد طالب الخرسان.

معاصر.

۱۳- الإسلام والوثنية السعودية. فهد القحطانى. معاصر.

۱۴- الاصول الأربعة فى ترديد الوهابية، محمد حسن جان السرهندى، ۱۳۴۶ ه.

۱۵- إظهار العقوق، ممّن منع التوسّل بالنبى والولى الصدوق.

۱۶- اعتراضات على ابن تيمية، أحمد بن إبراهيم الحنفى (۱).

۱- معجم المؤلفين ۱: ۱۴۰ و ۱۰: ۲۹۳.

ص: ۲۳۱

۱۷- الأقوال المرضية فى الرد على الوهابية. عطاء الكسم الدمشقى (۱).

۱۸- إكمال السنّة فى نقض منهاج السنّة، للسيد مهدى القزوينى ۱۳۵۸ ه.

۱۹- كمال المنة فى نقض منهاج السنّة، سراج الدين حسن بن عيسى اليمانى ۱۳۵۳ ه.

۲۰- الإمامة الكبرى والخلافة العظمى فى ردّ منهاج ابن تيمية، للسيّد حسن القزوينى ۱۳۸۰ ه.

۲۱- الانتصار للأولياء الأبرار، للشيخ طاهر سنبل الحنفى ۲۵۰ ه.

۲۲- الإنصاف والانتصاف لأهل الحق من الاسراف ۷۵۷ ه.

۲۳- إهداء الحقير معنى حديث الغدير إلى أخيه البارع البصير، للسيد مرتضى الخسروشاهى ۱۳۵۳ ه.

۲۴- الأوراق البغدادية فى الجوابات النجدية، ابراهيم البغدادى ۱۳۵۴ ه.

۲۵- بحوث مع أهل السنة والسلفية. سيد مهدى الروحانى.

معاصر.

۲۶- برأت الشيعة من مفتريات الوهابية. محمد أحمد حامد

۱- المصدر نفسه.

ص: ۲۳۲

السودانى.

۲۷- البراءة من الاختلاف، على زين العابدين السودانى.

۲۸- البراهين الساطعة. للشيخ سلامة العزامى ۱۳۷۹ ه.

۲۹- البصائر لمنكرى التوسل بأهل المقابر. حمد اللَّه الداجوى ۱۹۷۵

۳۰- المقالات السنية فى رد ضلالات ابن تيمية، للشيخ عبداللَّه الهررى. معاصر.

۳۱- تاريخ الوهابية. أيوب صبرى باشا، صاحب مرآة الحرمين (۱).

هذا والحمد للَّهوله المنّة، على أن وفّقنى لانجاز هذا الجهد المتواضع خلال القائه بعنوان دروس ومحاضرات فى حوزة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وحوزة الزهراء عليها السلام فى بيروت، وقبل سبع سنوات وبشكل مختصر فى جامعة الزهراء عليها السلام بقم المقدّسة. ثم جمعه وتنقيحه وتهذيبه بعنوان تأليف متواضع، خدمة بسيطة لأهل البيت عليهم السلام. نسأل اللَّه عزّوجلّ القبول. واللَّه من وراء القصد.

۱- انظر مجلّة تراثنا العدد الرابع شوال/ ۱۴۰۹، فقد ورد فيها أكثر من مائتى عنوان كتاب فى الرد على الوهابية.